الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة –
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم العلوم الانسانية

شعبة : تاريخ

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي

بعنوان:

التصوف في المغرب الأقصى على عهد الدولة المرينية.

اشراف الاستاذ :

دلباز محمد

من إعدادالطالب :

رفسي العربي

أعضاء اللجنة المناقشة

السنة الجامعية 1435- 1436ه / 2014-2015م

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر إلي كل من ساعدني في انجاز هذه المذكرة ، وبالخصوص الأستاذ دكتور دلباز محمد الذي كان له الفضل في توجيهي خلال كل مراحل البحث .

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر لأساتذة قسم تاريخ بجامعة دكتور طاهر مولاي سعيدة الذين ساهموا في تكويني طوال مراحل الدراسة .

كما أشكر السادة أعضاء اللجنة المناقشة الذين سيناقشون هذه المذكرة .

إهداء

إلي الوالديـــــــــــــــن كريميـــــــــــــــــــــــــــــن أطال الله في عمرهمـــــــــــــــــــــــــا .

إلي إخـــــــــــــــــــــــــــوتي حفظـــــــــــهــــــــــــــــــــــم الله.

إلي كل الأصدقـــــــــــــــاء وخاصة صديقي عريبـــــي وكل طـــــــــــالب علـــــــــــم و

الفهـــرس:

مقدمة ..... أ

مدخل 6

عوامل تأسيس دولة بني مرين 9

دخول بني مرين المغرب الأقصى..... 11

ذكر باقي سلاطين بني مرين 14

الفصل الأول: التصوف، مفهومه ، نشأته ، وبعض طرق صوفية .

المبحث الأول: مفهوم التصوف .

أ/ أصل الكلمة 17

ب/مفهوم التصوف 20

المبحث الثاني: نشأة التصوف .

أ/نشأة التصوف في المشرق..... 23

ب/نشأة التصوف في المغرب.....27

المبحث الثالث: نماذج عن بعض المتصوفة ومدارسهم

أ/عبد السلام أبن مشيش..... 31

-المدرسة البشيشية: (المشيشية) 32

ب/أبو الحسن الشاذلي.....34

-الطريقة الشاذلية (المدرسة) 35

الفصل الثاني : البيئة الثقافية والدينية في الدولة المرينية .

المبحث الأول المميزات الثقافية 37

المبحث الثاني المؤسسات والمراكز الثقافية عند المرينيين .

أ/المساجد 44
ب/المدارس 48
المبحث الثالث العلوم الدينية في العصر المريني .
أ/ الفقه 52
ب/ التفسير و علوم القرآن 55
ت/ علم القرأت 57
ث/ علم الحديث 58
الفصل الثالث: المتصوفة في الدولة المرينية.
المبحث الأول: مظاهر التصوف في العهد المريني وبعض طرق الصوفية.....61
المبحث الثاني: الزوايا عند المرينيين
أ/نشأة الزوايا.....68
ب/أهم هذه الزوايا.....70
المبحث الثالث: الرحالات التصوفية
أ/دوافع الرحلات.....75
ب/أبرز الرحلات التصوفية.....77
المبحث الرابع: أشهر المتصوفة في العهد المريني .
أ/أبو الحسن الشاذلي.....83
ب/أبو عبد الله الجزولي 84
ت/أبو العباس أحمد ابن عاشر 86
ث/محمد ابن عباد الرندي 89
ج/أحمد زروق.....91

المبحث الخامس : سلاطين المرينيين والتصوف
.....94

خاتمة.....102

الملاحق.....108

البيبليوغرافيا.....111

الفهرس.....121

لقد كان اهتمام الدولة بني مرين بالجانب الروحي خصوصا تربية الناس على التصوف السني منقطع النظير، ولم يكن وليد صدفة بل كان جل سلاطينهم عبادا متصوفة عارفين بالله تعالى، ويتجلى ذلك في اعتنائهم بتشييد الزوايا والرباطات المختلفة عبر حدود مملكتهم ، ونشرهم لأفكار التصوف المعرفية ، وهذا مما ساعد على تكوين مجتمع سني في عقيدته وسلوكه النبيل ذي المرجعية الإسلامية الهادفة، وفي هذا الصدد أقر المرينيون المذهب المالكي الذي اختاره أجدادهم الأشاوس، واتخذوه مذهبا رسميا وعملوا على نشره وتعليم أصوله و قواعده، فبنوا مدارس العلم في أنحاء المملكة لتكوين الفقهاء المبرزين في مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى، وأعدوهم لنشر مذهبه السني في جميع أنحاء البلاد وخارج البلاد؛ كما اعتنوا بإقامة الشعائر الدينية فأسسوا المساجد والزوايا واهتموا بالحفلات والمواسم الدينية خصوصا عيد المولد النبوي الشريف، فأحدثوا الاحتفال به سنة (691ه/1292م).

أما بالنسبة للجانب الفكري فتذكر المصادر المعتمدة أنه عرف نشاطا غزيرا في عهدهم؛ إذ كانوا يحبون العلوم بمختلف شعبها، والآداب والفنون الراقية التي تعبر عن الحس والذوق الرفيع فبلغت العقلية العلمية في عصرهم الذروة، فبنوا المدارس والمكاتب وشجعوا الطلبة والعلماء بمختلف المدارك والمشارب على الابتكار والعطاء العلمي في مختلف المجالات، وتروي المصادر أنه غرق مع السلطان أبي الحسن المريني في رحلة رجوعه من تونس حوالي ثلاثمائة عالم وأديب رحمهم الله تعالى؛ كما أنه في عهدهم أصبح العلماء يشدون إليهم الرحال من مختلف الأقطار بما فيهم الأندلس الرطيب التي كانت تعج بالعلماء آنذاك، لكي يبدعون في قصورهم ويتنافسون مع قرنائهم العلماء، ولقد لعب التنافس في مدينة فاس العالمة دوره بين العلماء المبرزين في مختلف الميادين العلمية المغاربة منهم والغير مغاربة، مثل ما كان يلعبه في قرطبة واشبيلية بالأندلس، والقاهرة وبغداد ودمشق بالشرق العربي؛ حيث عُرف المغرب المريني من الناحية الفكرية بوجود علماء بلغاء كبار ذوي التخصصات المختلفة العلمية الدقيقة كالرياضيات والطب والفلك، والفقهية المالكية الأصولية، والأدبية الشعرية، والصوفية السنية التي كانت سائدة في المجتمع المريني.ولقد برز في عهد الدولة المرينية كثير من الأدباء والفقهاء والعلماء والمتصوفة. وعلى سبيل المثال لا للحصر الرحالة المغربي الصوفي الذي يعتبره أغلب المؤرخون أعظم الرُّحل في العصور الوسطى شمس

الدين محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (703-776ه)، وكتابه "تُحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" من أفيد وأنفس الكتب التي ألفت في عهد بني مرين .

كما كان انتشار التصوف خلال القرن الثامن الهجري حيث كثرت بالمغرب في عهد المرينيين الطوائف الصوفية، والزوايا التي كان يرتادها المريدين والزائرين بصفة عامة، ولقيت العقائد الصوفية قبولا كبيرا فكثرت الطوائف وتعددت الزوايا وتطورت الحياة الروحية خلال هذه الفترة مما ساعد علي انتشار التصوف داخل أسوار هذه الدولة التي قربت المتصوفة إليها ، ولقد كان المرينيون يشيدون الزوايا على شكل "مدارس" تعتني بتربية وتكوين الطلبة والمريدين الذين يرتادونها من داخل وخارج الوطن، تُلحق بها كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية ، حيث ساعدت هذه الزوايا عل ظهور عدة متصوفة اشتهروا في هده الفترة من حكم المرينين بالمغرب الأقصى .

أما اختيار هذا الموضوع هو انتشار التصوف في هذه الفترة في المغرب الإسلامي وخاصة المغرب الأقصى ، حيث ارتبط هذا الموضوع بتشجيع سلاطين هذه الحياة الروحية (التصوف) وذلك لتوطيد نفوذهم و سلطانهم علي عكس ما اتخذته الدول التي كانت قبل المرينين مثل المرابطين الذين اضطهدوا المتصوفة. و يمكننا معرفة أحوال ومظاهر المجتمع والحياة الروحية في عصر بني مرين الذي يعتبر من ازهي عصور الغرب الإسلامي في العصر الوسيط . و معرفة سياسة السلاطين اتجاه المتصوفة في هذا العصر من جهة أخري يحاول هذا البحث دراسة حركية فئة الصوفية داخل المجتمع فكرا وعملا. وإسهاما منا في إثراء المكتبة جامعة سعيدة بهذا العمل المتواضع .

أما الإشكالية المطروحة ، فهي : - **كيف كانت مضاهر التصوف و الحياة الروحية للمتصوفة خلال عصر بني مرين ؟**

ومن خلال هذه الإشكالية ، تتفرع لدينا عدة تساؤلات ، وهي:

- كيف قمت دولة بني مرين ؟

- ما هو التصوف ، ونشأته ، وما هم ابرز المتصوفة ؟

- كيف كانت البيئة الثقافية و الدينية خلال عهد بني مرين ؟

- ما هي مظاهر التصوف عند المرنين و ما هي ابرز الطرق الصوفية و الزوايا التي ظهرت في هذا العهد ؟

- وما هي ابرز الرحلات التصوفية ، وأشهر المتصوفة عند بني مرين ؟

- إلي أي مدي كانت علاقة سلاطين بني مرين بالمتصوفة ؟ .

وللإجابة علي هذه الإشكاليات و التساؤلات

اتبعت الخطة التالية مقدمة و مدخل و ثلاثة فصول ، ففي مقدمة تم فيها استعراض توطئة عن موضوع المذكرة ، ومجموعة من تساؤلات ، كما شملت الخطة مدخل تم استعراض فيه قيام الدولة المرينية من حيث أصل بني مرين وعوامل تأسيس دولة بني مرين وكيفية دخول بني مرين للمغرب الأقصى ، أما الفصل الأول فتناولت فيه التصوف ومفهومه ونشأته وكذا بعض الطرق الصوفية ، وينقسم الفصل الأول إلي ثلاثة مباحث ففي المبحث الأول تطرقت فيه إلي أصل كلمة التصوف و مفهومه أما المبحث الثاني تطرقت فيه إلي نشأة التصوف في المشرق و كذا نشأته في المغرب و المبحث الثاني تحدت فيه حول نماذج عن بعض المتصوفة و مدارسهم .

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه البيئة الثقافية و الدينية في الدولة مرينية ،و يضم هذا الفصل ثلاثة مباحث ، فلمبحث الأول تحدث فيه عن المميزات الثقافية عند المرنين و المبحث الثاني جاء فيه مؤسسات و المراكز الثقافية عند المرينين و المبحث الثالث تحدث فيه حول العلوم الدينية في العصر بني مرين .

أما الفصل الثالث فقد تطرقت فيه حول التصوف في عهد بني مرين ، و يضم هذا الفصل خمسة مباحث تحدث في المبحث الأول حول مظاهر التصوف في العهد المريني و بعض الطرق الصوفية ، و المبحث الثاني جاء فيه زوايا عند المرينين ، أما المبحث الثالث تحدث فيه حول الرحلات التصوفية في هذا العصر، و مبحث الرابع تكلمت فيه علي أشهر المتصوفة في عهد بني مرين و ذلك بوضع ترجمة

لهؤلاء المتصوفة ، وفي المبحث الخامس تطرقت حول سلاطين المرنين و علاقتهم بالتصوف .

أما الخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات التي خرجنا بها من الدراسة هدا الموضوع .

أما المنهج المتبع هو المنهج التاريخي السردي ، وهذا من خلال وصف الأحداث التاريخية و سردها من خلال تتبع مسار التصوف ، ووصف البيئة الثقافية و الدينية لدولة بني مرين ، وكذا وصف أحوال بعض متصوفة في عهد بني مرين وكذا سلاطينهم وقمنا كذلك بسرد أبرز مظاهر التصوف في عصر بني مرين .

و اعتمدت في الدراسة علي مجموعة من المصادر التي تناولت تاريخ دولة بني مرين و حتى التصوف عندهم وكانت متنوعة ، واعتمدنا كذلك علي مراجع مختلفة اهتمت هي أيضا بتاريخ المرينين و خاصة التصوف في هده الفترة و من أهم المصادر الذي اعتمدت عليها

- كتاب (**العبر وديوان مبتدأ وخبر في تاريخ الغرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**) لصاحبه عبد الرحمان ابن خلدون بجزئية الأول و السابع و الذي افدنا في معرفة أصل بني مرين و كذا تعريف التصوف .

- كتاب (**الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**) لصاحبه ابن أبي الزرع وهذا الكتاب أرخ للدولة المرينية حيث افدنا في معرفة سلاطين دولة بني مرين و أحوال الاجتماعية . و كذا كتابه (**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**) .

-كتاب (**روضة النسرين في دولة بني مرين**) لصاحبه أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر فهو مصدر يتضمن أسماء ملوك بني مرين و ألقابهم و صفاتهم الجميلة .

- و اعتمدنا كذلك علي كتاب (**فيض العباب و إفاضة قداح**) لصاحبه ابن الحاج النميري و هذا المصدر جاء علي شكل رحلة يؤرخ للأحد ملوك بني مرين وهو أبي عنان المريني ودوره في محبة الأولياء الله الصالحين وبنائه للزوايا الذي كانت مركز للمتصوفة في عهد بني مرين.

- و اعتمدنا علي كتاب (**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**) لصاحبه محمد ابن مرزوق التلمساني فهذا المصدر يؤرخ للحياة داخل بلاط بني مرين اذ خصصه صاحبه لوصف حياة بلاط السلطان ابي الحسن المريني . واعتمدنا علي مصدرين لابن قنفد القسنطيني وهم (**أنس الفقير و عز الحقير**) الذي افدنا في معرفة بعض أحوال المتصوفة في عهد بني مرين ، واعتمدنا كذلك علي كتابه (**الوفيات**) .

وأما في ما يخص المراجع المعتمدة في الدراسة فقد اعتمدت علي كتاب (**المغرب عبر التاريخ من بداية المرينين إلي نهاية السعديين)** لصاحبه إبراهيم حركات ، و كذا كتاب (**تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني**) لصاحبه محمد عيسى الحريري ، و كتاب (**ورقات عن حضارة المرينيين)** لصاحبه محمد المنوني ، وكتاب (**مظاهر الثقافة المغربية**) لصاحبه محمد بن احمد بن شقرون.

أما الصعوبات التي اعترضنني في انجاز هذه المذكرة قلة الدراسات المتخصصة حول هذا الموضوع (**التصوف في المغرب الأقصى علي عهد الدولة المرينية**) ، كذلك واجهتني بعض الصعوبات ومنها عدم التكلم بشكل واضح حول التصوف في هذا العهد وهذا مما تمعن و تركيز لاستنباط معلومات حول الموضوع ، و من الصعوبات كذلك ضيق الوقت الذي كان مخصصا لانجاز هذا العمل

مدخل :

أ- نسب بني مرين

ب- عوامل تأسيس دولة بني مرين

ج- دخول بني مرين المغرب الأقصى

- مدخـل :

دخل المغرب الإسلامي و الأندلس في حالة من فوضى و اضطرابات سياسية و عسكرية وذلك اثر هزيمة الجيوش الموحدية أمام النصارى الإسبان في معركة العقاب سنة 609هـ/1212م , وذلك بعد وحدته السياسية التي تحققت على يد ابن تومرت ,و عبد المؤمن بني علي مؤسس هذه الدولة[1] حيث بادرت بعد ذلك القوى السياسية في الدولة وبعض الزعامات القبلية إلى الإستقلال على الدولة الموحدية ،حيث برزت على مسرح الأحداث ثلاث قبائل مستقلة كبني حفص في تونس ،و بني عبد الواد بتلمسان و كذا بنومرين بالمغرب ،حيث قاموا بنومرين بمحاولات عدة لتكوين إمارة أو دولة لهم ،وتم لهم ذلك باستيلائهم على مراكش و قضاء على دولة الموحدين سنة 668هـ/1269م[2].

- نسب بني مرين : يرجع المؤرخون أن بني مرين فخذ من زناتة [3] البدوية [4] وهم ولد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن يدر بن يجفت بن يصليتن بن عبد الله بن ورتيب بن المعز بن إبراهيم بن واسين بن يصليتن بن مسري بن زكيا بن وسيد بن زانات بن جانا بن يحي بن تمزيت بن ضريس ،وهو جالوت ملك البربر[5] و يؤكد إنتماء المرينيين إلى العرب عن طريق جدهم الأعلى ،حيث يعتبر أصلهم من زناتة وأصل زناتة من الشام وكانت دارهم بفلسطين ،وملكها جالوت ،فلما قتله داوود عليه السلام جاءت البربر إلى المغرب فانتشروا إلى سوس الأقصى[6]

1-عبد العزيز محمد لعرج ، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، ط1 ، زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر ، 2005 ، ص9 .
2- نفسه، ص ص 9 -10 .
3- ابن أبي الزرع ،الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، الرباط، 1972، ص 14 .
4- عبد العزيز محمد لعرج ، المرجع السابق، ص 10.
5- ابن ابي الزرع المرجع السابق ، ص14 ، وانظر أيضا
- IBN ABI ZARAA ،ROUDH EL – KARTAS – histoire des souverains du Maghreb et annales de la ville de fez ، traduit de l’arbe A. beaumier ، l’imprimier imprimable ، paris، 1860، P 202 .
6- محمد عيسى الحريري تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2 ، دار القلم للنشر والتوزيع 1987، ص3 .

كما يعتبر بنومرين إخوة بنو يلومي ومديونة [1] وهناك من المؤرخون الذي يعتبر أن زناتة عرب بالأصل إنما تبربروا بمجاورة ومخالطة البربر [2] كما أن بنومرين

يعتبرون من أحواز تلمسان، قاعدة المغرب الأوسط، حيث كان وطنهم ما بينها و بين تاهرت من شرقها، وكان غالبهم فرسان [3]

و لما فتح حسان ابن نعمان إفريقية والمغرب كان أكثر جيوشه قبائل قيس، فأتا جبل أوراس من بلاد إفريقية فوجد قبائل زناتة قد اجتمعت به لقتاله، فدعاهم إلى الإسلام وقال لهم يا معشر زناتة أنتم إخوتنا في النسب، فلم تخالفوننا وتعينون أعدائنا؟ أليس أبو بكر بن قيس بن عيلان ؟ قالوا بلى ! ولكنكم معشر العرب تنكرون ذلك وتدفعوننا عنه فإذا أقررتم بالحق ورجعتم إليه فاشهدوا لنا به على أنفسكم[4] . ثم اجتمعت أشراف قيس وزناتة ورؤساء البربر والروم وكتبوا وثيقة نسب زناتة إلى قيس عيلان وقد جاء فيها[5] :"باسم الله الرحمان الرحيم، هذا ما شهد به أنحاء قيس عيلان لإخوانهم زناتة بني بر بن قيس أننا أقررنا لكم وشهدنا على أنفسنا وأبائنا وأجدادنا أنكم معشر زناتة من ولد بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فأنتم والحمد لله إخواننا نسبا و أصلا ترثوننا و نرثكم . نجتمع في جد واحد و هو قيس عيلان[6] فهذه الوثيقة تثبت نسب و عروبة زناتة ".

1- عبد الرحمان ابن خلدون ،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج7 ،دار الفكر بيروت ، لبنان، 2000 ،ص 221 .

2- نضال مؤيد ، الدولة المرينية في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (680-806 هـ / 1286-1306م)، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل، 2004 ،ص 3 .

3- مؤلف مجهول ،الحلل الموشية في الأخبار المراكشية –تحقيق سهيل زكار ، وعبد القادر زمامة ، ط1 ، دار الرشاد الدار البيضاء، 1979، ص 186.

4- ابن ابي الزرع ، المصدر السابق، ص 17.

5- إبراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين ، ط1، مج2 ، دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء ، ص 11 .

6- ابن ابي الزرع ، المصدر السابق، ص 17 .

و يذكر نسابتهم لمحمد بن ورزين، بن فكوس بن كوماط بن مرين [1] ومرين يتصل نسبه بزانا بن يحيى أبي الجيل . وكان لمحمد المذكور سبعة من الولد اثنان منهم شقيقان وهم حمامة و عسكر وخمسة أبناء علات، وكان يقال لهم بلسان زناتة تيربعين أي الجماعة .

ويزعمون أن محمد بن الوزير لما هلك قام بأمر من قومه ابنه حمامة بن محمد وكان الأكبر من ولده [2] وهو حمامة بن وزير بن فجوس بن جرماط بن مرين تأمر على زناتة بعد موت حفيد أخيه الأمير مخصب[3]، ثم تولى من بعده شقيقه عسكر بن محمد وكان له من الولد ثلاثة : نكوم وأبو يكني، ويلقب المخصب، وعلي ويلقب لاعدر. ولما هلك قام برياسته فيهم ابنه المخصب[4].

هلك سنة أربعين وخمسمائة في بعض الحروب التي كانت بين عبد المؤمن ومرابطين ثم قام بأمر بني مرين بعد المخصب ابن عمه أبو بكر حمامة بن محمد إلى آن هلك فقام بأمره ابنه محيو بن أبي بكر ولم يزل ولم يزل مطاعا فيهم إلى أن استنفرهم يعقوب المنصور إلى غزوة الآرك بالأندلس فشهدوها و أبلوا فيها البلاء الحسن وأصابت محيو بن أبي بكر جراحات هلك منها بصحراء الزاب,سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق ابنه من بعده[5].

ويعتبر محيو بن أبي بكر بن حمامة هو جد ملوك بني مرين جميعا [6] انظر الملحق رقم 1

1- عبد الرحمان ابن خلدون ،المصدر السابق ، ص 221 .
2- أبو العباس احمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ، ومحمد الناصري ،ج3، دار الكتاب ، الدار البيضاء، 1997، ص4 .
3- أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر ،روضة النسرين في دولة بني مرين ، المطبعة الملكية الرباط ، 1962 ،ص 13 .
4- عبد الرحمان ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص 221.
5- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ،المصدر السابق، ص 4 .
6- إبراهيم حركات، المرجع السابق ،ص 12 .

عوامل تأسيس دولة بني مرين :

اختلفت عوامل تأسيس دولة بني مرين، فساعدتها بعض العوامل على ظهورها على مسرح الأحداث فمن بين هذه العوامل:

1-العامل الاقتصادي :

فالمرينيون قد لاقوا كسائر زناتة الرحل مشاكل المجاعة و الجذب في الأراضي الصحراوية منذ أواسط القرن السادس ه ، ولم يكن عدد بني مرين قليلا، فمنذ أوائل دولة الموحدين لم تكن مواردهم محدودة مما يساعدهم على أداء الأتاوت والضرائب الباهضة التي أثقل بها الموحدون كاهل الشعب المغربي. وما كذا ضعف الموحدين يتجلى منذ هزيمة العقاب حتى بدأ بنو مرين يستقرون بالشمال الشرقي من المغرب مستأنسين ببقايا زناتة من مكناسة وغيرهم ، وكان أول ما جاهروا به الموحدون من العداء أن بدأوا يتعرضون لقوافل التجار ، ويتسلطون على القرى و المزارع ويصدون كل قوة اعترضت سبيلهم [1].

2-العامل السياسي :

كان من السلف وتقدم من ملوك الموحدين، أولي الحزم والرأي والدين, إلى أن كانت واقعة العقاب 609هـ, التي أدانت دولتهم بذهاب , فرجع الناصر مهزوما فدخل مراكش ولم يزل ملكه في نقص ، إلى أن توفي بها في سنة 11 شعبان 910هـ ، وولي ولده يوسف المستنصر . فكان صبيا هلوعا جروعا ، لم يبلغ الحلم ولا جرب الأمور، فاعتكف في قصره على اللهو و اللعب والخمور ، و أسلم الملك لأعمامه قرابته ، و فوض الأمور إلى وزرائه و أشياخ دولته ، فتحاسدوا فيما بينهم على الرياسة ، فأضعفوا الأمور وأغلطوا الحجاب ، وقطعوا الأرحام ، وجاروا في الأحكام وولوا أمرهم وأحكامهم السلفة وأبعدوا العلماء و قربوا الجهلة

1- إبراهيم حركات ،المرجع السابق ،ص 12 .

فبدا ملكم الفساد ووهن في دينهم ، و ظهر الجور في أحكامهم و بلادهم والنقص في سلطاتهم ، فولت أيامهم و اختلفت كلمتهم[1]، فكانت كل هذه الأمور مشجعا كبيرا لبني مرين في إقامة دولتهم وكذا من أسباب ضعف الموحدين هو عدم العناية بتقوية الجيش وذلك بعد موت الناصر الموحدي [2].

3-العامل القبلي:

من العبث إنكار العامل القبلي في معاداة بني مرين لدولة الموحدين و إنشاء دولة جديدة , فإذا كان الموحدون ضربوا المرينيين بإخوانهم بني عبد الواد 3.فأبلى بنو عبد الواد فيها البلاء الحسن و كان اللقاء في فحص مسون , وانكشف بنو مرين و قتل

المخصب بن عسكر [4] , فإن زناتة المغرب الأوسط وبينهما مغراوة وبنو مرين وبنو بادين لم تنس هزيمتهما الساحقة أمام عبد المؤمن أثناء مطاردته لتاشفين ابن علي . و بنو مرين لم يحاربوا الموحدين كدولة بل حاربوهم ككتلة قبلية , ولا ينكر مع هذا ، أن حلفا هاما قد انعقد بين قبيلة رياح الغربية وبين بني مرين سنة 613هـ/1216م , وكان لهذا الحلف الذي امتد مفعوله لأجل طويل أثر في انتصارات بني مرين على الموحدين , وهذا الحلف الذي عقد بين بني مرين و قبيلة رياح الغربية جعل المرينيين يتفرغون لمواجهة الموحدين [5].

1- ابن أبي الزرع،المرجع السابق، ص 24 .
2- إبراهيم حركات ، المرجع السابق ،ص 13 .
3- إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 13 .
4- عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 222 .
5- إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 13 .

ج/- دخول بني مرين المغرب الأقصى :

كما ذكرنا في سابق حديثنا ظروف ظهور الدولة المرينية ودخولها المغرب الأقصى وكانت واقعة العقاب التي هلك فيها الناصر وجمهور من حامية المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها ثم حدث بعد ذلك الوباء العظيم [1] كوباء الطاعون الذي عم بلاد المغرب والأندلس , كما اجتاح الجراد بلاد المغرب عامي 617 و624هـ/1220 و1227م فخلف قحطا شديدا , حيث رافق ذلك غلاء شديد في الأسعار والأوضاع الاقتصادية بالغة الصعوبة , حيث توقفت الحركة الزراعية واضمحلت المنشآت الصناعية والعمرانية وكثر الخراب في المدن المغربية [2].

- كان بنو مرين يومئذ موطنين ببلاد القبلة من الزاب الإفريقية إلى سجلماسة , يتنقلون في تلك القفار والصحاري لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا يؤدون إليها ضريبة كثيرة ولا قليلة ولا يعرفون تجارة ولا حربا إنما شغلهم الصيد وطراد

الفيل والغارات على أطراف البلاد , وكان يترأسهم زعماء قبائلهم يتأمرون بأمرهم و يتناهون بنهيهم [3].

- فلما كانت سنة عشر ستمائة أقبل نجعهم على عادته للارتفاق والميرة حتى إذا أطلوا على المغرب من ثناياه ألفوه قد تبدلت أحواله و بادت خيله ورجاله وفنيت حماته وأبطاله وعريت من أهله أوطانه... , ووجدوا البلاد مع ذلك الطيبة المنبت خصيبة المرعي غزيرة الماء واسعة الأكناف فسيحة المزارع [4].

1- أبو العباس احمد ابن خالد الناصري ، المصدر السابق، ص 4 .
2- عامر احمد عبد الله حسن دولة بني مرين : تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية وممالك النصرانية في اسبانيا (668-869هـ / 1269- 1465م) ،رسالة الماجستير ،نابلس، فلسطين، 1424هـ/2003م ، ص ص69-70 .
3- أبو العباس خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص 5 .
4- نفسه، ص 5 .

1-الأمير أبي محمد عبد الحق بن محيو المريني :

لما دخل بنو مرين المغرب كان الأمير عليهم يومئذ عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد المريني [1] لما توفي والده محيو بن أبي بكر اجتمع أشياخ مرين فقدموا على أنفسهم عبد الحق وكان من قبائل مشهورا بالتقوى والفضل و الدين [2] دخل المغرب من صحراء الزاب إفريقية موضع إمارته وإمارة سلفه، مع قوم من بني مرين في عام 610هـ/1213م من جهة جرسيف[3] دخل بنو مرين المغرب لما رأوا اختلالها , فدخلوا ثناياه ، وتفرقوا في جهاته و أرجعوا بخيلهم وركابهم على ساكنة، واكتسحوا بالغارة والنهب العامة بسائطهم. ولجأت الرعايا إلى معتصماتهم ومعاقلهم , وكثر شاكيهم ، وأظلم الجو بينهم وبين السلطان والدولة، فأذنوهم بالحرب [4].

دخلوا المرينيين المغرب , حيث تفرقت قبائلها في أنحائه ، وشنوا الغارات على بلاده و أرجائه . فمن أذن لهم بطاعة سالوه، ومن بداهم بالحرب قاتلوه , وقصموه ففر الناس أمامهم يمينا وشمالا ، ولحقوا بالجبال المنيعة لتكون لهم حصنا ، حيث

مدخل :

اتصل خبرهم بيوسف المنتصر، فأطرق يفكر في أمرهم و يدبر، ثم دعا الوزراء و أشياخ الموحدين، وشاورهم في أمر بني مرين، فقالوا يا أمير المؤمنين لا تهتم بأمرهم، ولا تشغل خاطرك بهم، وهم أضعف ناصرا وأقل عددا، لكننا لا نتركهم سدا أبدا بل نبعث لهم جيشا من الموحدين [5]

أغري الخليفة المستنصر عظيم الموحدين أبا علي بن وانودين [6] وكتب له إلى صاحب فاس السيد أبي إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن يأمره بالخروج معه

1- نفسه ،ص ص 5-6 .
2- ابن أبي الزرع ، المصدر السابق ، ص 30 .
3- أبي الوليد إسماعيل ابن الأحمر ، المصدر السابق ،ص 14.
4- عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 224 .
5- ابن أبي الزرع ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، صور للطباعة والوراقة ، الرباط ،1972 ،ص 283 .
6- عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق، ص 224 .

لغزو بني مرين وعدم الإبقاء عليهم مهما قدر على ذلك [1] وصلت الأخبار إلى بني مرين بتقدم جيش الموحدين نحوهم ، وكانوا في ذلك الوقت قد بسطوا نفوذهم في جهات كثيرة من الريف و بلاد بطوبة واستقر رأي المرينيين على ترك أثقالهم وأمتعتهم وحريمهم بحصن تاروطا قاع الريف حتى تخف حركتهم، ويسهل عليهم مقاومة الموحدين [2] فالتقى الجمعان بالقرب من وادي نكور يحاربون ثلاثة أيام وبعدها طلب قائد الجيش الموحدي الحسن بن واندين من والي فاس إسحاق بن يوسف مساعدته، فساعده بقوة مكونة من 10 آلاف مقاتل، ثم أمرهم الحسن أن يتنقلوا إلى تازة حتى يتبعهم المرينيون . و ينزلوا عند وادي نكور (بحفص الوادي) ما بين رباط تازة والمقرمدة، فاتبعهم المرينيون فعلا [3]. فكان ظهور لبني مرين على الموحدين و هزموهم وقتلوهم وامتلأت الأيدي من أسلابهم و أمتعتهم ورجع الموحدون إلى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب يومئذ ... ، فسميت تلك السنة يومئذ بعام المشعلة و هي 613هـ/1216م . ثم زحف الأمير عبد الحق في ذي الحجة من السنة المذكورة بجموع من بني مرين إلى رباط تازة، حتى وقف بإزاء زيتونها فخرج عاملها لحربه في جيش كثيف من الموحدين والعرب والحشد من قبائل تسول و مكناسة، وغيرهم

فقتلت بنو مرين العامل المذكور وهزموا جيوشه، حيث جمع عبد الحق الأسلاب والخيل وقسم ذلك كله في قبائل بني مرين، ولم يمسك منها لنفسه شيئا وقال لبنيه : إياكم أن تأخذوا من هذه الغنائم شيئا فأنه يكفيكم منها الثناء و الظهور على أعدائكم [4].

1- أبو العباس أحمد بن خالد الناصر ، المصدر السابق ، ص 6 .
2- محمد عيسى الحريري ،المرجع السابق، ص 11 .
3- نضال مؤيد ، المرجع السابق ، ص 134.
4- أبو العباس أحمد بن خالد الناصر ، المصدر السابق ، ص 6 .

لما انتصر بنو مرين على أعدائهم الموحدين حصل في نفوس بني عسكر بن محمد من عشيرتهم نفاسة عليهم وضاقت صدورهم من استقلال بني عمهم حمامة بني محمد ، فخالفوا الأمير عبد الحق وعشيرته [1]، وقومه إلى مظاهرة أولياء الموحدين ، وحامية المغرب من قبائل رياح الموطنين بالهبط و أزغار لحديث عهدهم بالتوحش و الغر مند إنزال المنصور إياهم بذلك القطر من إفريقية ، فتحيزوا إليهم و كاثروهم على قومهم، فصمدوا جميعا للقاء بني مرين سنة أربع عشر و ستمائة [2] انصر الموحدون على بني مرين وذلك بمساندة بني عسكر وكذلك قبائل بني رياح وذلك بالقرب من واد سبو على بعد أميال من تافرطاست بواجرمان منطقة من بلاد الريف ، وأدى ذلك إلى مقتل الأمير عبد الحق وولده [3] الذي كان كبير أولاده إدريس [4].

ذكر باقي سلاطين بني مرين :

لما قتل الأمير عبد الحق، تولى أمر بني مرين أبو سعد عثمان بن عبد الحق سنة (614هـ/1217م) وقد اشتهر بين المرينيين [5] أدرغال ومعناه برطانتهم الأعور [6] ، وهو الذي أنهى الحرب الدائرة بين المرينيين وعرب رياح لصالح بني مرين ، وقد تركزت جهوده في بسط المزيد من النفوذ على البوادي والضواحي والأرياف[7].

1-أبو العباس احمد بن خالد الناصري ، المصدر نفسه ، ص 7 .
2- عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 225 .

3- نضال مؤيد ، المرجع السابق ، ص 10 .
4- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المرجع السابق ،ص 7.
5- محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 12 .
6- عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 225 .
7- محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 12.

ثم خلفه أخيه الأمير محمد بن عبد الحق الذي يكنى أبا معرف ، بويع بعد أخيه عثمان بوادي ردات في الأول من محرم من عام 638ه/1240م [1] ثم خلف الأمير محمد أخوه الأمير أبي بكر بن عبد الحق ، وهذا الأمير هو الذي رفع راية بني مرين وسما بها إلى مرتبة الملك [2] ، يكنى أبي يحيى ، بويع بعد أخيه محمد يوم الخميس 9 جمادى الأخرى سنة 642 هـ/1244م ، ثم خلفه ابنه الأمير عمر ابن أبي يحيى بن عبد الحق بويع بعد أبيه أبي يحيى بمدينة فاس سنة 656 هـ/1258م [3] ، أقبل عليه عمه من الرباط تازة فهزمه على وادي مكس ، حيث بقى أربعة أشهر فقط [4] ، حيث تولى من بعده الحكم أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق الذي يكنى أبا يوسف، بويع سنة 656 هـ ثم جاء بعده أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ألذي يكنى بأبي يعقوب بويع سنة 685 هـ، تولى شؤون بني مرين من بعده حفيده أمير المسلمين عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، بويع بعد جده أبي يعقوب في ذي القعدة عام 706 هـ ثم جاء من بعده أخوه سليمان بن عبد الله بن يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق بويع في صفر 708 هـ [5] تولى أمر بني مرين في نفس يوم وفاة أخيه فوصلت الدولة في حكمه إلى حالة من النضج والازدهار والتقدم [6] .

ثم جاء من بعده عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق بويع بعد أبي الربيع ليلة الأربعاء ثاني رجب عام 710 هـ [7] ثم جاء بعده أبو الحسن ولد عثمان بن يعقوب بن حسن حيث ومنذ توليه شؤون الدولة 713 هـ/ 1331م توسع في بلاد المغرب الأوسط ، وأفريقيا وكان ذلك التوسع رغبة منه تحقيق الوحدة المغربية التي كانت قائمة أيام المرابطين والموحدين[8]

1- أبي الوليد إسماعيل ابن احمر، المصدر السابق ، ص 16 .
2- أبو العباس احمد ابن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص 11 .
3- آبي الوليد إسماعيل ابن احمر، المصدر السابق ، ص 17 .

4- ابن آبي زرع ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، المصدر السابق ، ص 84 .
5- آبي الوليد إسماعيل ابن احمر، المصدر السابق ،ص ص ص 17-21-22-23 .
6- محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ،ص ص97-99 .
7- أبي الوليد إسماعيل ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص 23 .
8- محمد عيسي الحريري ، المرجع السابق ، ص 108 .

ثم تولى من بعده السلطان المتوكل على الله بن عنان فارس ابن أبي الحسن رحمه الله بحيث كان سلطان محبوب في قومه وعشيرته ، بويع في حياة ولده سنة 749 ه/1348مـ[1] ، أما الفترة الواقعة بعد عهد أبي عنان إلى نهاية الدولة فلم يحدث فيها امتداد منظم نحو المشرق والمغرب ، ولا يستثني من هذا سوى غارات عابرة تجلها ملوك وحكام المرينيين ، وقد امتدت قوت الدولة المرينية حتى أيام أبي الحسن ثم أخذت في التراجع [2] .

1- أبو العباس احمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق، ص ص181-182 .
2- محمد منوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، ط3 ، كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 2000 م ، ص16 .

الفصل الاول : التصوف ، مفهومه، نشأته ، وبعض طرق صوفية

1/ المبحث الأول : مفهوم التصوف

أ/ أصل الكلمة

ب/ مفهوم التصوف

2/ المبحث الثاني : نشأة التصوف

أ/ التصوف في المشرق

ب/ التصوف في المغرب

3/ المبحث الثالث : نماذج عن بعض متصوفة ومدارسهم

أ/ عبد السلام بن مشيش

- المدرسة المشيشية (طريقة)

ب/ أبو الحسن الشاذلي

- المدرسة الشاذلية (طريقة)

الفصل الأول: التصوف، مفهومه ، نشأته ، وبعض طرق صوفية

1/ المبحث الأول: مفهوم التصوف .

أ / أصل الكلمة:

لم يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق [1] ، حيث اختلف الباحثين فيه والصوفية أنفسهم أيضا ، وقد سئل الشلبي : لم سمية الصوفية بهذا الاسم ؟

- فقال : " هذا الاسم الذي اطلق عليهم اختلف في أصله وفي مصدر اشتقاقه ولا زال مختلفين فيه حتى اليوم " ، وينقل الكلاباذي أبو بر محمد الصوفي مشهور عن الصوفية أقوال عديدة في أصل هذه الكلمة واشتقاقها فقال [2]

قالت طائفة : إنما سمية الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ، ونقاء أثارها" وقال البشير ابن الحارث :

" الصوفي من صفا قلبه لله "

وقال بعضهم : " الصوفي من صفت الله معاملته ، فصفت له من الله عز وجل كرامته " .

وقال قوم :" إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول ، بين يدي الله جل وعز ، بارتفاع هممهم إليه ، وإقبالهم عليه ، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه "

وقال قوم: " إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم " .

وقال :" إنما سموا صوفية للبسهم الصوف " [3] .

1- أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية ،تحقيق :عبد الحليم محمود ، د. محمود بمن شريف ، مطابع مؤسسة دار الشعب القاهرة ، ص 464 .

2- إحسان إلهي ظهير ، التصوف المنشأ والمصدر ،ط 1 ،1986 ، إدارة الترجمان السنية ، ص 20 .

3- أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، ط1 1993، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ص 09-10 .

ولهذا يقال التصوف إذا لبس الصوف كما يقال : تقمص إذا لبس قميص ، فذلك الوجه، ولكن القوم يختصوا بلبس الصوف[1]

وقال آخرون أن الصوفية نسبة إلى أهل الصفة ، وهم جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ينزلون في مكان خلف الحجرات في المسجد النبوي وعرف المكان باسمهم وكانوا متفرغين للعبادة وللمجاورة وهم فقراء مهاجرين الذين ليس لهم مأوى [2] فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي [3] ثم أن أهل

الصفة لم يكن مخصص للعبادة ، بل كانوا يذهبون للعبادة والصلاة في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ، وكان النزلاء ينزلون فيه حيث لا مأوى لهم ولا عمل يسترزقون منه ، فكان أحدهم إذا وجد عملا وبيتا وزوجة ترك مكان الصفة وذهب إلى عمله ، فهو ليس خاصا بأحد بل هو مكان لعامة المسلمين [4] .

- كما قيل لبعضهم : من الصوفي ؟ قال : الذي لا يملك ولا يملك ، يعني لا يسترقه الطمع وقال آخر : هم من الذي لا يملك شيئا ، وإن ملكه بذله .[5] وهناك من يعتبره من أسماء النسب ، كالقريشي والمدني وأمثال ذلك ، فقيل : إنه نسبة إلى أهل الصفة وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل: صفي نسبة إلى الصفوة من خلق الله وهو غلط ، لأنه لو كان كذلك لقيل: صفوي ، وقيل نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن طابخة ، قبيلة من العرب كانوا يجاورون مكة في الزمن القديم[6]

1- أبو القاسم القشري ، المصدر السابق ، 464 .
2- محمد يوسف الشوبكي ، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، مج10 ، ع2 ، مجلة الجامعة الإسلامية ، غزة ، ص 07 .
3- أبو القاسم القشيري ، المصدر السابق ، ص 464 .
4- محمد يوسف الشوبكي ، المرجع السابق، ص 07 .
5- إحسان إلهي ظهير ، المرجع السابق ، ص 21 .
6- أ. العيد علاوي ، التصوف من إشكالية الفهم إلى تيه الممارسة ، ع8 ، مجلة المخبر ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2012 ، ص130 .

ومن بين الذين تكلموا عن التصوف وعن معناه أبو نصر السراج الطوسي صاحب كتاب اللمع تـــــــ378 هـ ، وهو من كبار المتصوفة وقادتهم ، فقد نظر إلى الكلمة نظرة خبير بمعناها ، الواعي بمدلولها المدرك لأصلها قائلا : " إذا سأل سائل فقال نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث ونسبت الفقهاء إلى الفقه ، فلم قلت الصوفية ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم ، ولم تضف إليهم حالا كما أضفت الزهد إلى الزهاد والتوكل إلى المتوكلين ، والصبر إلى الصابرين ، فيقال لهم : لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ، ولم يرتسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم ... "[1]

ولذلك اختلفت الناس في تعريف التصوف إلى أكثر من ألف تعريف حتى أنشد الإمام زروق في مقدمة " قواعد التصوف " .

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا وضنه البعض مشتقا من صوف
ولست امنح هذا الاسم غيرفتى صفا فصوفي حتى سمي الصوفي[2]

- حيث أرجع ابن خلدون صعوبة وضع تعريف شامل للتصوف إلى عاملين :

العامل الأول : يتمثل في أن هذه التعريفات لم يقصد بها الصوفية تعريف التصوف تعريفا علميا شاملا ، بل قصدوا بها التعبير عن أحوالهم الخاصة في لحظة معينة ، فهي إذا تعبير عن مواجدهم وأحوالهم ومقاماتهم التي يتدرجون فيها .

العمل الثاني: يتمثل في كلمة التصوف في حد ذاته ، والتي اكتسبت بمرور الزمن معاني جديدة تبعدها شيئا فشيئا عن مدلولها الذي عرفت به في أول الأمر [3]

1- أ. العيد علاوي ، المرجع نفسه ، ص 129.

2- إبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري ، مرآة محاسن الأخبار الشيخ أبي محاسن ، تحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني ، منشورات رابطة أبي محاسن ابن الجد ، ص 13 .

3- فاطمة الزهراء جدوا ، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين ، رسالة ماجستير ، جامعة قسنطينة ، 2008 ،ص 06 .

ب/ مفهوم التصوف : هو علم من علوم الشريعة الإسلامية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لا تزل عند السلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعد.هم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله عز وجل والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ،والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في خلوة للعبادة [1] فهم عباده المخلصون ، وأولياؤه المتقون ، وأحباؤه الصادقون الصالحون [2] وقال بندار ابن الحسين: الصوفي من اختاره الحق لنفسه فصافاه ، وعن نفسه برأه ... [3] وسئل الجنيد عن التصوف ، فقال: تصفية القلب عن مواقفه البرية . ومفارقة الأخلاق الطبيعية . وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعي النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية واستعمال ما هو أولى إلى الأبدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله على حقيقة ، وإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة " [4] وانفرد خواص السنة المحافظون على أعمال القلوب ، والمقتدون بالسلف الصالح في أعمالهم الباطنة والظاهرة وسموا بالمتصوفة.... ثم

تتابعوا جيلا بعد جيل وأمة بعد أمة ، يهتدي الخلف منهم بالسلف .... ففقه الباطن هو معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال القلوب وما يخص بالمكلف في نفسه من أفعال الجوارح في عبادته وتناوله لضرورياته ، ويسمى هذا فقه القلوب ، وفقه الباطن وفقه الورع، وعلم الآخرة والتصوف[5] .

1- عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ وخبر في تاريخ الغرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج1 ، دار الفكر بيروت، لبنان ، 2000 ، ص 611 .

2- أبي الناصر السراج الطوسي ، اللمع ، تحقيق: د. عبد الحليم محمود وعبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة ، مكتبة المثني ، مصر ، بغداد ، ص 19 .

3- أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ، المصدر السابق ، ص 18 .

4- نفس المصدر ص 19 .

5- عبد الرحمان ابن خلدون ، شفاء السائل وتهذيب المسائل ، تحقيق :د. محمد مطيع الحافظ ، دار الفكر ،دمشق، 1996 ، ص 43-44 .

وقال الجيلاني : التصوف هو الصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق [1]
فالتصوف هو الحياة الروحية الذي يخضع فيها الإنسان لألوان مختلفة من مجاهدة النفس ، وكشف حجاب الحس ، وتصفية القلب ، وتنقيته من أدران الشهوة والهوى ، وقطع العلائق المادية التي تفسد عليه صلته بربه [2] .

إن التصوف يوصف بأنه أكبر تيار روحي يسري في الأديان جميعها [3] فالتصوف هو منهج التربية الروحي والسلوكي الذي يرقى به المسلم إلى مرتبة الإحسان التي غرفها النبي صلى الله عليه وسلم.

(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) . وهو برنامج تربوي الذي يهتم بتطهير النفس من كل أمراضها التي تحجب الإنسان عن الله عز وجل ، وتقويم انحرافاته النفسية والسلوكية فبما يتعلق بعلاقة الإنسان مع الله ومع الآخر ومع النفس [4] وسئل أبو الحسن النوري ما لتصوف؟ فقال : ترك كل حظ للنفس [5]

وسئل الشبلي: لم سميت الصوفية بهذه التسمية؟ فقال : لبقية بقية عليهم في نفوسهم ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية . وسئل سمنون عن التصوف فقال : ألا تملك شيئا ولا يملكك شيء . وقال معروف الكرخي : التصوف هو الأخذ بحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق . وقال عمر بن عثمان المكي : التصوف أن يكون العبد في كل

وقت بما هو أولى في الوقت . وقال أبو محمد الجريري: التصوف هو الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق ديني [6] .

1- منال عبد المنعم جاد الله ، التصوف في مصر والمغرب ، منشاة المغارف، الإسكندرية، مصر ،ص 116 .
2- محمد مصفى حلمي – الحياة الروحية في الإسلام – دار الكتاب اللبناني – بيروت لبنان – ص 09 .
3- أنا ماري شيمل ، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، ترجمة : محمد إسماعيل السيد و راضيا حامد قطب ، ط1 ، منشورات الجمل ، كولونيا ، ألمانيا ، ص07 .
4- أ. عبد القادر تومي ، التصوف والمجتمع قراءة في الاجتماعية للتصوف ، مجلة الخطاب الصوفي ، غ الثالث ، جامعة الجزائر ، 2010، ص 152 .
5- أبي بكر محمد إسحاق الكلاباذي ، المصدر السابق ، ص 19 .
6- منال عبد المنعم جاد الله ، المرجع السابق ، ص ص115-116 .

وقال الجريري : التصوف مراقبة الأحوال ، ولزوم الأدب . وقال المزين : التصوف : الانقياد للحق .

سمعت أبا حاتم السحستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سئل ذو النون المصري عن أهل التصوف فقال : هم قوم آثروا الله عز وجل على كل شيء فآثرهم عز وجل على كل شيء .

وقال القشيري سمعت أبا حاتم السحستاني (رحمه الله) يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : قلت للحصري :من الصوفي عندك ؟فقال : الذي لا تقله الأرض ولا تظلمه السماء [1]

ويتضح من هذه التعريفات أنها شخصية وليدة تجارب ومن ثم تختلف من صوفي لآخر ولذلك تكمن قيمة هذه التعريفات فيها مجتمعة فهي بمثابة الأجزاء التي يتألف منها بناء كلي للتصوف كمضمون .

وقد تم تصنيف تعريفات التصوف إلى ثلاث مجالات : مجال يربط التصوف بالسلوك أو الأخلاق ومجال يربطه بالنسك وسور العبادات وينصب الاهتمام في هذا الاهتمام على الجانب العملي المتمثل في الطقوس والشعائر الدينية مع تحقيق جوهرها الروحي الحيوي ، والمجال الثالث يربط التصوف بالمعرفة والمشاهدة وهو عناية فائق بالجانب النفسي والعقلي في التصوف [2]

- وفي الخلاصة قول ابن تيمية أن (الصديقية) وهي الدرجة العلية التي تجيء بعد النبوة في الترتيب. هذه الدرجة يطلبها الصوفية كما يطلبها بقية أفراد المجتمع المسلم من علماء وصناع أو أمراء ونحوهم كل بما اختص به من طريق يطلب به مرضاة الله [3]

1- أبو القاسم القشيري ، المصدر السابق ، ص 467 -468 .
2- منال عبد المنعم جاد الله ، المرجع سابق ، ص 116 .
3- أحمد بن محمد بناني ، موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ، ط3 ، دارة طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ص 77 .

المبحث الثاني: نشأة التصوف

أ/ نشأة التصوف في المشرق

لم يكن التصوف معروفا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم ولا في عصر التابعين رحمهم الله وإن كانت حقيقة معروفة، لأن جل ما يصبو إليه المرء هو الانتساب إلى الصحابة رضي الله عنهم ثم التابعين رحمهم الله وكفى بالمرء شرفا أن ينتسب إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه رضي الله عنهم بالإتباع[1] حيث لم تكن من حاجة إليه في العصر الأول، لأن أهل هذا العصر كانوا أهل تقوى وورع وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم، وبحكم قرب اتصالهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يتسابقون ويتبارون في الإقتداء به في ذلك كله، فلم يكن ثمة ما يدعوا إلى تلقينهم علما يرشدهم إلى أمرهم قائمون به فعلا[2].

وفي القرن الأول لم يكن يعرف اسم التصوف، بل كان أهله يعرفون باسم الزهاد والنساك والبكائين وليس باسم الصوفية، وكان اعتقادهم صافيا وإيمانهم نقيا خالصا وما كان ابتعادهم عن الدنيا إلا لارتياحهم من عذاب الآخرة، وهرعوا إلى الكهوف ورؤوس الجبال حيث الوحدة الصافية والانعزال من صخب الحياة المادية[3] ويعتبر الفقر والزهد * بمثابة مدخل إلى التصوف أو التمهيد الذي يمهد النفس الإنسانية

للتحقق بالأحوال الروحية المشرقة والنفحات القلبية الصادقة التي هي قوام التصوف وسبيل الصوفي إلى كشف الحقيقة[4] فكان الزهد البذرة الأولى للتصوف[5]

1- محمد يوسف الشويكي، المرجع السابق، ص 18.
2- الشيخ عبد القادر عيسى، حقائق غن التصوف، ط5، موقع طريقة الشاذلية الدرقاوية، ص11.
3- محمد يوسف الشويكي، المرجع السابق، ص 18.
* الزهد: مقام شريف، وهو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل، والمنقطعين إلى الله والراضين على الله والمتوكلين عليه، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصلح له شيء مما بعده. ابي نصر سراج الطوسي، المصدر السابق، ص 72.
4- محمد مصطفى حلمي ، المرجع السابق، ص 99.
5- العيد علاوي، المرجع السابق، ص134.

إن البوادر الأولى لظهور التصوف وبروزه كظاهرة معروفة بهذا الاسم تعود إلى المائة الثانية من الهجرة[1] قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: " اشتهر هذا الاسم قريب المائتين من الهجرة[2] فبعد ما مضى عهد الصحابة والتابعين بدأ لفظ لصوفية يظهر[3] وذلك نتيجة لما استجد في المجتمع الإسلامي منذ صدر الإسلام الذي كانت السمة الغالبة على المسلمين في ذلك الحين، الإقبال على الدين والزهد في الدنيا" [4] قد نرى أن اسم الصوفية اشتهر في نهاية المائة الثانية لأن الناس أثناء المائة الأولى وحتى نهاية المائة الثانية كانوا قريبي عهد بالإسلام وهؤلاء كانوا مقلعين في حب الدنيا ومتاعها جميعا ولا توجد فوارق كبيرة بينهم حتى تتميز طائفة عن الأخرى وتشتهر باسم معين أما في نهاية القرن الثاني فكان بعض الناس قد أقبل على الدنيا وزينتها وذلك لأن الفتوحات الإسلامية كانت قد جلبت الكثير من الأموال لدى المسلمين فانغمس البعض في حب المال، وأسرف البعض في التمتع بزينة الحياة الدنيا، وكثرة الفتن وكان ضروريا أن توجد بعض الطوائف تبتعد عن متاع الدنيا الزائل[5] وقد فصل ابن خلدون في ظروف نشأتها[6] حيث اختلف الناس وتباينت المراتب، والخروج عن الاستقامة، ونسي الناس أعمال القلوب وأغفلوها... ثم طرقت آفة البدع في المعتقدات ، وتداعى العبادة والزهد : معتزلي ورافضي وخارجي لا ينفعه إصلاح أعماله الظاهرة ولا الباطنة مع فساد المعتقد الذي هو رأس الأمر ، لدى انفرد خواص السنة المحافظون على أعمال القلوب والذين سموا بالمتصوفة [7] فإن ذلك من شأنه أن يتخذ المقبلون على العبادة أسماء تميزهم عن عامة الناس التي ألهتهم الدنيا الفانية [8]

1- فاطمة زهرة جدو، المرجع السابق، ص 7.
2- عبد الرحمان ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، المصدر السابق، ص 43-44.
3- محمد يوسف الشويكي، المرجع السابق، ص 18.
4- فاطمة الزهراء جدو ، المرجع السابق ، ص 7.
5- محمد حربي ، ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، ط1 ،1987م ، عالم الكتب بيروت لبنان ، ص 181.
6- فاطمة الزهراء جدو، المرجع السابق ، ص 7 .
7- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 42-43 .
8- الشيخ عبد القادر عيسى ، المرجع السابق، ص 13 .

وأراد صاحب " كشف الظنون " في حديثه عن علم التصوف كلاما للإمام القشري قال فيه :[1] "اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذ لا أفضلية فوقها ، فقيل لهم صحابة ، ثم اختلفت الناس وتباينت المراتب ، فقيل لخواص الناس – ممن لهم شدة عناية بأمر الدين – الزهاد و العباد ، ثم ظهرت البدعة ، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا ، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى ، الحافظون قلوبهم عن الطوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين للهجرة " [2] .

وخلال القرنين 03 و 04 للهجرة ظهر التصوف في صورة تختلف تمام الاختلاف عن صورته الأولى حيث لم يقف عند حدود الزهد والمجاهدة والرياضة ، وإنما تعدى ذلك إلى غاية بعيدة وهي الفناء ، وهي فناء الإنسان لنفسه واتحاده بربه ، وذلك على ما يبدوا راجع بدرجة كبيرة إلى تأثره بالمذاهب الفلسفية القديمة من بوذية وفارسية ويونانية، نتيجة لحركة الفتوحات الإسلامية التي تولد عنها الاختلاط بين الثقافات [3] ، وفي هذه القرون ظهر أبو يزيد البسطامي وهو أول من تكلم في الفناء قال :" لا حال للعارف فقد محيت رسومه وفنية هويته لهوية غيره " ، وكذا من رجال هذه القرون أبو محمد سهل التستري ، كان اهدأ معروفا وكان يذكر الله بقلبه أحيانا دون نطقه وكان على عقيدة أبي الحسن الأشعري لذا فقد نحى بالزهد منحى كلاميا ، وظهرت في القرن الرابع هجري الحسين ابن منصور الحلاج ، وأبو بكر ابن محمد ابن موسى الواسطي ، وكان يدعوا إلى التأمل بالله وعدم ذكره باللسان [4]

1- الشيخ عبد القادر عيسى ، المرجع السابق ، ص 13 .
2- حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، مج1 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ،لبنان، ص 414 .
3- فاطمة الزهراء جدو، المرجع السابق ، ص 8 .
4- محمد يوسف الشويكي ، المرجع السابق ،ص 21-22.

ففي القرنين الثالث والرابع للهجري غالى الصوفية في الأعمال النفسية والروحية، ولم يضغطوا ضغطا كافيا على الأعمال الظاهرة ، فكان عداء بينهم وبين الفقهاء ، فكان الفقهاء يرمون الصوفية ، بأنهم غالوا في أحوال الروح أكثر ما كان يعرفه الإسلام ، وسموهم أهل الباطن [1] فقه الباطن * وكان الصوفية يرمون الفقهاء بأنهم لا يعبدون إلا بالقشور من مظاهر الأمور [2] فقه الظاهر * .

واستمر تبلور التطرق الصوفية وذلك في القرن الخمس للهجري وما بعده [3] أي حدود القرن السادس والسابع ، حيث اتحد المتصوفة في جماعات منظمة وظهر بعد ذلك ما يسمى بالطرق الصوفية ، فأصبح لكل طريقة شيخ [4] ومن أبرز أعلام هذه الحقبة محي الدين عبد القادر الجيلاني ، ويرفع نسبه إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، ولد الجيلاني سنة 471 هـ ... وإليه تنسب الطريقة القادرية ، ومن مشاهير هذه الحقبة أيضا أحمد ابن أبي الحسن الرفاعي من بني رفاعة وإليه تنسب الطريقة الرفاعية .

وظهرت بعد ذلك الشاذلية ومؤسسها هو أبو حسن علي ابن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي نسبة إلى شاذلة بتونس توفي سنة 596 هـ ، وتنسب إليه الطريقة الشاذلية وانتشرت طريقته في مصر واليمن ومراكش وغرب الجزائر . وكذا ظهر في هذا الطور أحمد البدوي، ولد بفاس سنة 596 هـ وإليه تنسب الطريقة الأحمدية وكذا إبراهيم الدسوقي (623 هـ- 667هـ) وإليه تنسب

1- محمد حربي ، المرجع السابق، ص 184.
* فقه الباطن: هو معرفة متعلقة بأفعال القلوب وما يخص المكلفين بأنفسهم ، عبد الرحمان ابن خلدون . شفاء السائل وتهذيب المسائل ، ص 44.
2- محمد حربي ، المرجع السابق، ص 184 .

* فقه الظاهر : هو المعرفة المتعلقة بأفعال الجوارح في ما يخص المكلفين بأنفسهم ، وهذا هو مسمى بالفقه. عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 44 .

3- محمد يوسف الشويكي ، المرجع السابق ، ص 22 .

4- فاطمة زهرة جدو، المرجع السابق، ص 8 .

الطريقة الدسوقية والتي تقوم على الخروج عن خطوط النفس والهوى، والدعاء إلى المحبة بين الناس[1] وفي القرن الثامن اكتفى المتصوفة بشرخ كتب ابن عربي ، وابن الفارض وغيرهم ولم يأتوا بنظريات جديدة [2]

ب/ نشأة التصوف في المغرب:

تطور الزهد في بلاد المغرب مؤديا إلى التصوف غلى نحو ما حدث في المشرق الإسلامي ، كما انه لم يكن يسير تحديد بداية قاطعة لبدأ التصوف في المشرق الإسلامي فإن تحديد مثل هذه البداية للتصوف في بلاد المغرب أشد صعوبة وأبعد منالا [3] . وعلى الرغم من ظهور التصوف في القرن الثاني هجري وانتشاره في المشرق إلا أن المجتمع المغربي كان بمعزل عنه ولم يعرفه أهله ما عرفه إخوانهم في المشارقة [4] ، وترجع صعوبة تحديد بداية قاطعة لظهور التصوف في بلاد المغرب إلى عدة عوامل ، منها اختلاط المتصوفة بالزهاد اختلاطا شديدا في بلاد المغرب وقت ظهور التصوف فيها ، واستمر تواجد الزهاد فيها إلي ظهور التصوف بحيث تشابه كثير من أنشطة الزهاد والمتصوف المغاربة الأوائل وحركتهم في الحياة المغربية جنبا إلى جنب مما يجعل من العسير التمييز بينهم في كثير من الأحيان لا سما وأن المغاربة كانوا يستخدمون مسميات واحدة للدلالة على كل من الزهاد والمتصوفة ، فكانوا يطلقون على سبيل المثال مسمى العباد على الفرقتين معا وينعتونهم بكثير من الصفات المشتركة الصلاح والورع والاجتهاد في العبادة [5] .

1- محمد يوسف الشويكي ، المرجع السابق ، ص 22-23 .

2- محمد حربي ، المرجع السابق ، ص 185 .

3- محمد بركات البيلي ، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس للهجري ، در النهضة العربية ، مصر ،1993 ،ص 90.

4- منال عبد المنعم جاد الله ، المرجع السابق، ص 125 .

5- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 90.

بعض الباحثين يميلون إلى أن التصوف في صورته الأولى كانت زهدية، وقد يكون موجودا منذ الفتوحات الإسلامية ، أما بالمفهوم الدقيق للتصوف والذي اصطلح عليه فيما بعد فقد ظهر أولا بالمشرق ثم أنتقل إلى المعابر الأربعة التي انتقلت بواسطتها الأفكار إلى بلاد المغرب ، وهي الحج وطلب العلم ، الكتب والمؤلفات، التجارة [1] . مما زاد في صعوبة التمييز بين الزهاد والمتصوفة وان المصادر المغربية قلما تشير في تناولها لتلك الفترة إلى مسمى الصوفي أو تكر شيئا عن تصوف العباد لا سيما وأن لبس الصوف كان سلوكا مشتركا بين الكثير من الزهاد والمتصوفة مما يجعل من الصعب الركون إلى لبس الصوف في التمييز بين الفرقتين إلا حينما يشار إلى لبس المرقعة التي كان المتصوفة يختصون بها دون الزهاد [2] .

يمكن القول أن بداية التصوف في بلاد المغرب الإسلامي ،لم يتأخر كثيرا عن مثيلتها في المشرق الإسلامي ، إذ اتسعت ماهية الزهد في المغرب تدريجيا نتيجة التصاعد الذي ألم بالظروف والعوامل التي نشأ عنها الزهد في تلك النواحي، ومن ثم تصاعد الزهد بدوره مؤديا إلى التصوف في بلاد المغرب على نحو كبير الشبه بما حدث في المشرق الإسلامي، ويلوح هذا التصاعد التدرجي في الأفق المغربي من نهاية القرن الثاني الهجري مواكبا مثيله في المشرق الإسلامي [3] ، وقد نشأ التصوف في المغرب مبنيا على الزهد والتقشف والنسك وحمل النفس على المجاهدة في الطاعة مع الوقوف على ظاهر الشرع دون التغلغل في علوم المكاشفات والحقائق ، لذل لم يحتدم في المغرب الصراع بين الفقهاء والمتصوفة [4] ويمكن القول أن بداية ظهور التصوف في بلاد المغرب الإسلامي كانت في النصف الأول من القرن الثالث هجري وهي بداية لا تتأخر كثيرا عن بداية التصوف في المشرق الإسلامي ولا تتعدى بضعة عقود معلومة تتناسب زمنيا مع تأخر الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عن الفتح الإسلامي في بلاد

1- عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر ،ط1، 2007 ، دار خليل القاسمي، مسيلة، الجزائر، ص 24 .

2- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 90 – 91 .

3- محمد بركات البيلي، المرجع نفسه، ص 91.

4- منال عبد المنعم جاد الله ، المرجع السابق، ص 125.

المشرق خاصة عن العراق التي شهدت ظهور أول تلقيب بالصوفي مفردا أو عن مصر التي شهدت أول تلقيب لجماعة بالصوفية. ويمكن القول أن المدة التي

استغرقها تصاعد الزهد إلى التصوف في بلاد المغرب تقترب من مثيلتها في المشرق الإسلامي ، ولا غرابة في ذلك فقد كان كل من الزهد والتصوف تيارا عاما تظهر بوادره في المشرق ثم تهب رياحه على بلاد المغرب ليعم بذلك العالم الإسلامي كله [1]. ولقد كان ظهور التصوف في بلاد المغرب نتيجة لأزمة التصاعد الذي حدث للعوامل المسببة للزهد في بلاد المغرب من قبل، إذ كثرت رحلة العباد المغاربة إلى المشرق ... وإذ كان هؤلاء العباد قد التقوا بالزهاد المشارقة أول الأمر فإنهم لم يلبثوا أن التقوا بالمتصوفة بعد ظهورهم بالمشرق ، وأخذوا عنهم مثلما كانوا يأخذون عن الزهاد من قبل ، فموسى ابن معاوية الصمادحي على سبيل المثال كان من العباد المغاربة المتقدمين توفي سنة 220هـ/835م ، لقي بالمشرق وكيع بن الجراح والفضيل ابن عياض وأبا معاوية الضرير، بأنه رحل إلى خرسان في طلب رجل خرساني ذكر له، وكان أبو سليمان ربيع بن عبد الله الناسك القيرواني كثير السياحة والتغرب عن الأوطان ، رحل إلى المشرق وسكن جبال اللكام بالشام توفي بدمشق [2]

- وهناك من يرى ظهور التصوف في المغرب الإسلامي لم يكن في القرن الثاني ولا الثالث للهجرة، فعلى الرغم من ظهور التصوف في القرن الثاني للهجرة وانتشاره في المشرق إلا أن المجتمع المغربي كان بمعزل عنه ولم يعرفه كما عرفه إخوانهم في أوائل القرن الخامس للهجرة أو قبله بقليل ، وذلك في عهد المرابطين [3] وقد اعتبر الباحثون أن أبا عمران الفاسي هو أول من أدخل تعاليم الجنيد إلى إفريقيا ، أما وصول المؤلفات الصوفية، فمن أقدم الإشارات حسبما تشير إليه المصادر ، كان من محض المغربي عبد العزيز التونسي ، مريديه على قراءة رعاية المحاسبي ، وكان هذا في أواسط القرن الخامس قبل أن يصل كتاب الإحياء [4] ، وفي منتصف القرن الخامس للهجرة دخلت بعض كتب التصوف للمغرب

1- محمد بركات البيلي، المرجع السابق ، ص 93 .
2- محمد بركات البيلي، المرجع السابق ، ص 93 .
3- منال عبد المنعم جاد الله ، المرجع السابق ، ص 125 .
4- عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق ، ص 25 .

وفوجئ العلماء في أواخر هذا القرن بكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، ووجوا فيه الكثير مما لم يألفوه فثاروا عليه وأمروا بإحراقه وتحريم قراءته ، وكان

هذا الحادث من أهم عوامل تدهور واضطراب وانحلال دولة المرابطين ، وانتشر الظلم والفجور ، وشبت الحروب والفتن والمعارك الأهلية لم تهدأ إلا باضمحلال دولة المرابطين وسقوطها على يد مهدي منشئ دولة موحدين إلى أن هذا لم يمنع وجود بعض الشغف بقراءة هذا الكتاب مثل أبو فضل النحوي الذي قال " وددت أني لم انظر في عمري سوى هذا الكتاب " [1] .

إن التصوف بالمغرب الإسلامي ، ظل متأثرا بالتصوف المشرقي في البداية، حتى إن المدارس الصوفية الأولى التي ظهرت بالمغرب كانت نتاج التصوف في المشرق ، مثلما يتجلى ذلك عند أبي يعزي أبو مدين الذي يعتبر أحد أوتاد التصوف بالمغرب الإسلامي مدرسة ابن مسرة * [2] .

- وقسم علال الفاسي زمن التصوف في المغرب إلى أربعة عصور ، العصر الأول يتمثل في عهد أبي مدين والعصر الثاني من عند أبي مدين وعبد السلام ابن مشيش في أواخر القرن الخامس والسادس إلى زمن الشاذلي في القرن السابع للهجرة ، والعصر الثالث من زمن الشاذلي إلى عهد جزولي ، ومن القرن السابع إلى القرن التاسع لهجرة ، والعصر الرابع والأخير من عهد الجزولي إلى يومنا ها من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر [3] .

1- منال عبد المنعم جاد الله ، المرجع السابق ، ص 125 .

* مدرسة ابن مسرة أول مدرسة صوفية بالأندلس في نظر المستشرقين كهنري كروبان وأثين بلاسيوس . عبد السلام غرميني ، المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس للهجرة، ط1 ، 2000 م ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، المغرب ، ص 55 .

2- محمد منعم قاسمي الحسنين المرجع السابق ، ص 25 .

3- منال منعم جاد الله ، المرجع السابق ، ص 126 .

المبحث الثالث: نماذج عن بعض المتصوفة ومدارسهم .

أ/ عبد السلام أبن مشيش :

ولد الشيخ الإمام عبد السلام ابن مشيش بن أبو بكر بن على بن بوحرمه بن عيسى بن سلام بن مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن محمد مولي إدريس الأصغر بن

إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن حسن السبط بن سيدنا علي كرم الله وجهه ، وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت نور الوجود سيدنا محمد عليه السلام ، بقرية الحصن الواقعة أسفل جبل العلم بقبيلة بني عروس لإقليم العرائش ، وقع اختلاف بين المؤرخين في تاريخ ولادته ، فنجد الشيخ عبد الله كنون يجعلها 559هـ ، بناء على أنه عاش 63 سنة بينما يجعلها آخرون كالأستاذ الطاهر اللهيوي ، والشيخ التليدي بين هذه السنة وسنة 563 هـ [1] .

كان له المقام العلي في المغرب ، وقيل هو كالشافعي في مصر ، وطريقة قوامها الإخلاص ، يقول :

" فاعبدوا الله مخلصا له الدين ألا الله الدين الخالص " ، والعارف لا تنقصه حظوظ نفسه لأنه بالله تعالى فيما يأخذ ويترك ، والصوفي يرى نفسه حسب ما هو في علم الله ، لا يختار أملا شيئا ، ويختار أن لا يختار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ، وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي مختار الله ليس لك منه شيء .

وابن مشيش هو أستاذ أبو الحسن الشاذلي ، وهو ينقل عليه ويقول أوصاني أستاذي [2]

1- محمد أعبيدوا، الشيخ المولى عبد السلام بن مشيش ، ط3، 2013 ، دار أبي رقراق ، الرباط، المغرب ، ص 4.
2- عب المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية ، ط1، 1992، دار الرشاد، ص ص 364-365 .

المدرسة البشيشية: (المشيشية)

مؤسس هذه المدرسة العالم الفاضل الجليل القدر ، عبد السلام بن مشيش في المغرب ،وكان متحمسا للدين وعاملا على نشره [1] فاخذ في قراءة كتاب الله وما إن بلغ من العمر اثني عشر سنة حتى حفظ القران الكريم ، وكان أستاذه في ذلك الشيخ صالح سليم الذي توفي ودفن بقرية بواد قبيلة بني يسف ثم واصل الشيخ ابن

مشيش دراسته لمختلف العلوم ، وكان من أشياخه في ذلك الفقيه الحاج أحمد اقطران ،الذي يلقب بالعسلاني [2]

وسار ابن مشيش على منهج الشريعة الإسلامية لا ينحرف عنها ، كما كان زاهدا في الدنيا شجاعا ولقد سلك طريق الله منذ أن كان عمره لا يتجاوز السبع سنوات ، واتخذ من السياحة رحلة علمية ليتحصل على درجته العلمية ، واعتبر السفر والتنقل عبادة ، إذ أن الإنسان في وطنه تشغله مشاغل كثيرة ، ولا بد له من خلوة مع الله لتصفوا نفسه ، وقد تعلم السياحة من ذي النون المصري ، فلقد كانت رحلاته الدينية تقوم على الأنهار ومشارف الصحراء ، وقد كانت الدولة الإسلامية توفر للسائحين من العلماء كل ما يلزمهم من مأوى ومأكل وشرب حتى يتفرغوا للحياة العلمية .

وقد رأى ابن مشيش أن التصوف ليس عملا علميا ولا بحثا نظريا ، ولا يتعلم بواسطة كتاب على الطريقة المدرسية ، بل إن ما كتبه كبار المشايخ الصوفية ما هو إلا حافز للتأمل والقراءة ولا يؤدي إلى التصوف ، وإنما يجب أن يكون هناك معلم أو شيخ يسترشد به المزيد في طريقه إلى الله[3] . يشتمل المنهج الدراسي على :

1- الشريعة الإسلامية تلم الدارس العمل بها .
2- قراءة القرآن كما كان الصحابة والتابعين يقرؤونه .
3- التفسير للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف حفظا وفهما .

1- عبد الحكيم عبدالغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ط2، 1999، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ص 178 .
2- محمد أعبيدو، المرجع السابق، ص 7 .
3 -عبد الحكيم عبد الغني قاسمن المرجع السابق، ص 178 .

4-الصلاة والتقرب إلى الله بالنوافل.
5-الورع: حسن النية والإخلاص في العمل ومحبة الله .
6-البعد عن الشهوات و النساء وحب الجاه، حيث قال " من كلب الرياسة وكله الله لها ".
7-القناعة في كل الأمور بما قسم الله تعالى، في إطار الشرع من الرزق الحلال .
8-الزهد في الدنيا أصل في الأعمال .
9-التوكل على الله في الأحوال كلها .

10- الله: والحديث عن الله سبحانه وتعالى كثير متعدد الجوانب ، و الحديث من الله سبحانه وتعالى لدى الصوفية منحة القلوب إلى محبته، وللصوفية في ذلك كثير من النفائس ، فحب الله سبحانه وتعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم هو مركز كل شيء في مدرسة ابن مشيش.

11-الطهارة:و ليست طهارة الجسم و إنما طهارة النفس من دنس الدنيا ، حيث يقول ابن مشيش في هذا الصدد: حيث زم الطهارة من الشرك، كلما أحدثت تطهرت من دني حي الدنيا، وكلما مالت إلى شهوة أطلحت بالتوبة النصوحة التي لا عودة مرة أخرى إلى دنس الدنيا .

12-العبادة في المدرسة المشيشية: أداء الفرائض واجتناب المحارم و الرضا بالقضاء و القدر والتفكر في أمر الله والنفقة في دين الله وزهد الدنيا [1] .

ولابن مشيش رسالة الصلاة المشيشية تناولها الكثيرون بالشرح كأبي العباس بن محمد الوراق رسالة في مناقب ابن مشيش ، وكان يقول إذا كنت مؤمنا فاتخذ الكل عدوا كما قال إبراهيم عليه السلام " فإنهم عدو لي إلا رب العالمين " ، و قد قتله أحد هؤلاء ويدعى ابن أبي طواحين الكتامي على يد جماعة بعث بهم، وكان استشهاده سنة 622ه/1225مـ. [2] و على منهج هذه المدرسة قامت المدرسة الشاذلية ، لأن الشاذلي أحد التلاميذ ابن مشيش [3].

1- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المرجع نفسه،ص179 .
2- عبد المنعم الحنفي ، المرجع السابق ، ص 365.
3- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المرجع نفسه،ص179 .

ب/ أبو الحسن الشاذلي:

شيخ الطائفة الشاذلية علي بن عبد الله بن عبد الجبار، واسم الشهرة الشاذلي، نسبة إلى شاذلة إحدى قرى تونس التي هاجر إليها بعد أن غادر قريته غمارة في المغرب، والشاذلي ولد سنة 593 هـ و اتخذ الإسكندرية مقرا ، وفيها تزوج و اقتنى الضياع و كان له ولد و أهل و أحباب ، مات سنة 656 هـ في طريقه إلى الحج بين قنا والقصير و دفن حيث مات ، وقد استخلف من بعده أبا العباس المرسي وتلقى الشاذلي علوم الطريقة على الشيخ عبد السلام بن مشيش [1].

و كان أبو الحسن الشاذلي استقر رأيه غلى اختيار طريق التصوف والتبحر فيه فبلفعل التقى أبو الحسن الشاذلي في بغداد بمجموعة من الأولياء، وعلى رئسهم

الإمام أبو الفتح الواسطي ، أمام زمانه وعالم وقته ، والذي شهد له أن أبو الحسن الشاذلي بتبحره حين قال :" لما دخلت العراق ، اجتمعت بالشيخ الصالح أبى فتح الواسطي . فما رأيت بالعراق مثله "[2] .

يصف أبو الحسن ، اللقاء بينه و بين ابن مشيش ، فيقول :"اغتسلت بأسفل الجبل وخرجت من علمي وعملي. وطلعت إليه فقيرا. وإذا به هابط علي. وعليه مرقعة فقال لي: مرحبا بعلي بن عبد الجبار. وذكر نسبي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال: طلعت إلينا فقيرا من علمك وعملك، فأخذت منا غنى الدنيا والآخرة...فأخذني منه الدهش . فأقمت عنده أياما، إلى أن فتح الله علي بصيرتي". كانت هذه البداية الاصطفائية : كما تقول الصوفية ، لسيدي ابن الحسن الشاذلي.فقد التقي الوارث مع الموروث ، أو المريد مع شيخه [3].

وكان الحسن الشاذلي يأخذ زينته عند كل مسجد ، ويتحلى دائما بالثياب الحسنة .. وكان يقول : اعرف الله وكن كيف شئت . ومن عرف الله فلا عليه أيضا إن أكل هنيئا مريئا[4].

1- عبد المنعم الحنفي ، المرجع السابق ، ص 229.
2- أحمد أبو كف ، أعلام التصوف الإسلامي ،مؤسسة دار التعاون ،القاهرة ، مصر ، ص 42 .
3- أحمد أبو كف ، المرجع نفسه، ص42.
4- عبد المنعم الحنفي ، المرجع السابق ، ص229.

-الطريقة الشاذلية (المدرسة):

الطريقة الشاذلية كما نادي إليها أبو الحسن الشاذلي طريقة بسيطة ... ليس فيها غلو .

- إنها ترى على أن المتبع لها أن يسير على نهج الكتاب والسنة ، فيؤدي الفرائض ، ويتخلق بالأخلاق الكريمة التي كان يتخلق بها الرسول الكريم ، وهي ككل طريقة تعتمد على الأذكار، كما جاء في القرآن الكريم . قال الله تعالى:" فاذكروني أذكركم " [1]. والشاذلي يقول عن الأذكار :"الأذكار أربعة ... ذكر تذكره وهو الذي تطرد به الغفلة أو ما تخافه من الغفلة، وذكر تذكره، أي خوف من العذاب أو البعد، وحب النعيم أو القرب، وذكر يذكرك أن الحسنات من الله و السيئات من نفسك. وأن الله هو الفاعل المختار. وذكر تذكر، يقول الله تعالى:" فاذكروني أذكركم " [2].

وكان أستاذه ابن مشيش في المغرب ، وكان متمسكا بالكتاب والسنة، وقد رسم ابن مشيش حياة أبو الحسن الشاذلي العلمية ثم رحل بعد ذلك إلى تونس [3] و من أسس الطريقة الشاذلية ترك التدبير و الاختيار ، فأبو الحسن الشاذلي هنا يدعو سالك طريقه حتى يتحصل على المحبة في الله : أن يترك تدبيره إلى تدبير الله , و اختياره إلى اختيار سبحانه وتعالى ، فهو المدبر ، وكل شيء بمشيئته يقول الشاذلي : المحبة في الله برفض الشهوات والمشيئات ، ولن يصل العبد إلى الله وقد بقي معه شهوة من شهواته "

و قال أيضا: من انقطع عن تدبيره إلى الله، ومن اختياره إلى اختيار الله و عن نظره إلى نظر الله، وعن مصالحه إلى علم الله بملازمة التسليم والرضا و التفويض والتوكل على الله، فقد أتاه الله حسن التواب " [4]

1- سورة البقرة ، الآية 152.

2- مأمون غريب ، أبو الحسن الشاذلي حياته وتصوفه وتلاميذه وأولاده، دار غريب، 2000، ص63.

3- عبد الحكيم عبد الغاني قاسم ، المرجع السابق ، ص174.

4- مأمون غريب ، المرجع السابق ، ص64.

و منهج الدراسة يدور حول هذه النقاط :

1-الإخلاص: وينقسم إلى قسمين، أخلاق الصادقين، وإخلاص الصديقين .

2-التوبة :يبدأ بها السالك إلى الله.

3-النية:ولابد لكل عمل يأتيه الإنسان من النية والإخلاص فيه.

4-الطريق إلى الله : أن يتبع السنة والكتاب .

5-الخلوة:أن يخلو الإنسان إلى ربه ولو في فترة قصيرة .

6-الجهاد:جهاد العدو.

7-النفس:وقد اهتمت المدرسة بتعليم النفس.

8-الدنيا:نبذ الدنيا.

9-العبودية:العبودية لله.

10-الطاعات:المحافظة على الطاعات .

11-علم اليقين :معرفة الله معرفة يقينية .

12-الذكر:ذكر الله ، والذي له صيغ كثيرة . فالذكر بالقلب واللسان.

13-الورع ، 14-الزهد ،15-التوكل ،16-الرضا ،17-المحبة.
وبهذه النقاط الهامة قد أوضحت لنا المدرسة الشاذلية منهجها الدراسي وعلى أساسه تخرج العديد من علماء الشاذلية ومريدوهم [1]. وكان للطريقة الشاذلية فروعها في المغرب كالغازية ،والحبيبية والكرزازية والناصرية والشيخية والسهلية واليوسفية والرزوقية والزيانية[2].

1-عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المرجع السابق،ص ص175-176.
2-عبد المنعم الحنفي، المرجع السابق ،ص268.

البيئة الثقافية والدينية في الدولة المرينية

المبحث الأول: المميزات الثقافية

يأتي من عوامل الازدهار الثقافي عدة مميزات ومن بينها بناء المدارس، وإلحاق الكتب بأكثرها والإنفاق على العلماء والطلبة، حيث شجع الحكام خاصة في العصر المريني الأول الحركة الثقافية آنذاك [1] ، وشكلت بلاد المغرب في العصر المريني ملاذا للكثير من المسلمين وخاصة الذين هاجروا من الأندلس إلى المغرب، حيث استفادوا من الاستقرار الذي تشهده بلاد المغرب، حيث كان من بين هؤلاء العلماء الذين باشروا العمل والتدريس في فاس ومراكش وسبتة وطنجة، وغيرها. حيث استفاد هؤلاء من التراث الثقافي الذي خلفه كل من دولة المرابطين و الموحدين، وكذا استفادوا من الانفتاح العلمي وظروف التشجيع الذي حظي بها العلماء من طرف السلاطين المرينيين. بحيث أن دولة بني مرين لم يقيموا دولتهم على فكر ديني معين، ولم يفرقوا العلماء على أساس توجهاتهم وأفكارهم الدينية والعلمية[2] هذا إلا أن بعض سلاطيين وأمراء هذه الفترة كانوا على جانب من الثقافة و كانوا يشجعون ويعقدون المجالس العلمية للمذكرة والمناظرة، حيث كان سلاطين بني مرين يقربون العلماء إلى سلطانهم وكان العلماء يتمتعون بمكانة عندهم[3] ،يتمتع سلاطين بني مرين بقدر من العلم والثقافة فكان من بينهم أبي يوسف يعقوب بن الأمير محمد بن عبد الحق الذي كان من سيره أنه يقرأ الكتب، حيث كان يقوم للكتاب ثلث الليل، فكان يقرأ كتب السير والقصص ثم كتاب فتوح الشام فكان يقرأها باجتهاد[4] .

ثم جاء عن ابنه أبي مالك عبد الواحد أنه: كان محبا للآداب والتاريخ ، ذاكرا للكثير من ذلك ، مقربا للعلماء والفقهاء ، عارفا بأنساب بني مرين وسائر قبائل زناتة ،

---

[1] محمد منوني، المرجع السابق، ص234.

[2] عامر أحمد عبد الله حسن، المرجع السابق، ص236.

[3] محمد منوني، المرجع السابق، ص234.

[4] أبي بارس عبد العزيز الملوزي ، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ، المطبعة المالكية ، الرباط، 1382هـ/1963م ، ص77-78.

ذاكرا لأيامهم وحروبهم، يجالس أهل العلم والفقه والأدب ، ويناظرهم ،كما كان محبا للشعر [1] حيث شجع السلاطين بني مرين الأدباء والشعراء، فظهر ونبغ عدد كبير من الشعراء والأدباء الأندلسيين، حيث تطورت الحياة الأدبية في العصر المريني وذلك لكثرة العلماء ووفرة مؤلفاتهم ، حيث لم يضع سلاطين بيني مرين عراقيل وعوائق على العلماء الوافدين إلى بلاد المغرب (دولة مرينية) ، ولم يفرق سلاطين بني مرين بينهم وبين علماء الأندلس ، بحيث انظم الكثير من هؤلاء إلى مجالس سلاطين ببني مرين العلمية ، فشغل بعضهم مناصب كبيرة في الدولة المرينية ، كابن خلدون وابن خطيب ، وابن الأحمر ، وابن رضوان ، وابن مرزوق وابن الجزي والمقري ، وغيرهم من العلماء الذين عاشوا داخل الدولة المرينية [2] ، كما ظهر من العلماء ابن عذاري المراكشي ، وابن البناء * وكذلك ابن أبي الزرع الفاسي ، وعبد المهيمن الحضرمي ، وابن الحجاج مؤلف فيض العباب ، وابن بطوطة الذي كتب رحلته من تكاليف من السلطان أبي عنان المريني وغيرهم [3] ومن جهة أخرى أظهر سلاطين بنو مرين اهتماما كبيرا بجمع الكتب والمصنفات العلمية ، فعندما عقد السلطان يعقوب المنصور 656-685هـ/1258-1286م صلحا مع ملك سانشو سنة 684هـ/1285م [4] حيث طلب منه الأمير أن يبعث كتب العلم الذي بين يدي النصارى ، فألحقها السلطان بالمدرسة الذي أسسها بفاس لطلب العلم [5]

كما ساهمت بعض الأسر وبعض الشخصيات في تزويد هذه المكتبات بمؤلفات عدة خاصة خزانة القرويين [6] .

- مما ساهم وساعد في ازدهار الحركة الثقافة وبعثها، هو اختيار أهل المغرب ممن عاشوا خلال الدولة المرينية مذهب المالكي ، حيث كان اختيارهم هذا بمحض

---

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 235 .

[2] لامعة زكري ، الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تثمين الصلات الثقافية خلال القرنين 9/7هـ 15/13م ، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 1430-1431هـ/2009-2010م، ص 44 .

* **ابن البناء:** هو أحمد ابن محمد بن عثمان الأزدي العددي ولد سنة 654ه/1250م بمراكش كان باحث ورياضي ، توفي سنة 721هـ/1321م ، خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط13، 1998، ج1، ، دار العلم للملاين ، بيروت، لبنان، ص 222 .

[3] عامر أحمد عبد الله حسن ، المرجع السابق ، ص 237 .

[4] رشيد الخالدي، دور المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ / 13و14م ، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، 1431-1432هـ/2010-2011م ، ص 42 .

[5] عبد الرحمان ابن خلدون، ج7، المصدر السابق، ص 277 .

[6] رشيد خالدي ، المرجع السابق ، ص 42 .

إرادتهم ، فشجع سلاطين في تثبيت المذهب المالكي في دولتهم وهذا ما أدى إلى نهضة الفقه المالكي في هذه الفترة [1] ، حيث يعود الفضل لبني مرين في بقاء مذهب مالك وانتشاره العلمي في المغرب [2]

كما أن بنو مرين كانوا أكثر حرصا من الموحدين على تثمين الوحدة الإسلامية مع المشرق العربي ، حيث تضاعف الاتصال بهذا القطاع عن طريق السفرات والرحلات ، وذلك عن طريق ركاب الحج الذي كان لهذه الرحلات دور هام وكبير في ازدهار الحياة الثقافية في الدولة المرينية ، وبذلك تعرف رحالة مرينون على مناهج ومعارف البلاد المشرقية [3] فكان من كبار الرحالة في هذا العهد ابن بطوطة وابن رشيد والعبدري ، حيث أفادت رحلات هؤلاء العلماء الطلاب ورجال الفكر أيما أفادت ، فوسعت أفاقهم الفكرية وهذا مما زاد من المناظرات العلمية في الدولة المرينية [4] ، كما نلاحظ أنه كان للأندلسيين دور في إثراء الثقافة المرينية خاصة بعد سقوط القواعد الأندلسية الكبرى ، حيث انتقلت مجموعة من أعلامها إلى المغرب الأقصى ، فتوزعت بين مدنها وأريافها واستقر معظمهم في مدينتي فاس وسبتة [5] ، ومن العوامل التي أدت إلى ازدهار الحياة الثقافية فيها كثرت الخزائن العلمية التي كانت أغلبها موجودة في الجوامع والمدارس ، بحيث تبنت الدولة التعليم وذلك عن طريق إيجاد الكتب والمعاهد وكذا ضمان معاش للأساتذة الذي يشجعهم في التدريس وكذلك إيواء الطلاب ، حيث تعتبر هذه العوامل سبب في تقدم الحياة الفكرية الثقافية في الدولة المرينية التي فاقت عصر الموحدين رقيا وتوسعا [6] . وأولى السلاطين المرينيين اهتماما كبيرا وهاما بخزانات الكتب ، فعينوا موظفين للإشراف عليها ودعموها ماليا ، وذلك للاستفادة بالكتب التي بها وتطوير الحركة العلمية ، فقد أرسل السلطان يعقوب ابن عبد الحق ثلاثة عشر حملا من الكتب والمخطوطات الذي استرجعها من النصارى حيث أرسلها إلى

[1] محمد منوني، مرجع السابق ، ص 237 .
[2] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 164.
[3] محمد منوني ، مرجع السابق ، ص 237 .
[4] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 165.
[5] محمد منوني ، مرجع السابق ، ص 237.
[6] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 165 .

مكتبة الجامع الأكبر بفاس، كما قام أبو عنان بفاس بتزويد مدينة فاس بأكبر خزانة للمطالعة [1]

تميز أبو عنان بين ملوك بنو مرين بثقافة أدبية واسعة ، حيث برهن هذه الثقافات في مناسبات كثيرة ، فكان مجيدا في نظم الشعر وكتابته [2]

حيث يقول المقري في كتابه أزهار الرياض في أخبار عياض أن أبو عنان المريني رحمه الله كان كثير اعتناء ، بنظم الشيخ أبي عبد الله بن خميس حيث حفظ شعره وروايته [3] وكذا أكد المقري هذا في كتابه نفح الطيب حيث الملاحظ أن أبي عنان كان مهتما بالشعراء وعلى سبيل المثال ابن خميس [4] فاهتمامه بالشعر والشعراء يبدوا واضحا وذلك من خلال مواقفه الكثيرة التي شجع فيها الشعراء وقدم لهم الهدايا ثمينة كتلك التي نالها من يده الكريمة الشاعر المبدع ابن عبد المنان الذي نظم قصيدة بمناسبة فتح تونس [5] ومن الملحوظ أن سبب اهتمام سلاطين مرينيين بالشعر هو كثرة الأدباء ، وقد تمتعوا بشخصية مميزة بالمغرب حيث انتشرت المؤلفات الأدبية والدواوين الشعرية فكان من أهم الكتب والدواوين رفع الحجب المستورة عن محاسن المعمورة لأبي القاسم شريف ، وكذلك شرح المقامات الحريرية للزناتي ، وجهد المقال لأبي القاسم الشريف ، وكذا التسميط السردة لابن جابر ، والمقصورة للمكودي، وري الأوام في مرعي السوام في نكت الخواص والعوام لأبي يحيى بن عبد الله ابن احمد الزجالي المتوفى بمراكش 694هـ ، وعيوب الشعر لابن البناء [6] ، حيث لعب بنو مرين دورا هاما لرعاية الثقافة والحركة الأدبية ، حيث يتجلى ذلك وبوجه خاص خلال مظاهر ثلاثة يمكن ذكرها فيما يلي :

---

[1] عامر أحمد عبد الله حسن ، المرجع السابق ، ص 238 .

[2] ابن الحاج النميري ، فيض العباب وإفاضة قداح في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و زاب ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، 1990، ص 132-133 .

[3] أحمد مقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، ظبط و تح وتع : مصطفي السقا وآخرون ، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ/1940م ص 316 .

[4] أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، مج 5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1388هـ/1968م ، ص 366 .

[5] ابن الحجاج النميري ، المصدر السابق ، ص 133 .

[6] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 169 .

1- ثقافتهم ، حيث تمتع شعوب بنو مرين بثقافة كبيرة وذلك لاختلاطهم بعدة شعوب.
2- رعايتهم للفنون بصفة عامة، وذلك باهتمامهم بفنون مختلفة ، كما لعب دورا كبيرا في ذلك سلاطين بني مرين .
3- واهتمامهم ببناء دور العلم والأماكن الدينية التي ساهمت في بعث وتطور الحياة الثقافية آنذاك [1] .

وظهر في العهد المريني وكثر العلماء الذين كان لهم دور كبير في الازدهار العلمي والثقافي في الدولة المرينية ، فقد كانوا على علم كبير بالثقافة العربية، كما كان لشعوب بني مرين رغبة أكيدة في التقرب من العلماء والأدباء ليستفيدوا منهم وليتبادلوا معهم الأفكار والآراء حول المسائل الثقافية العلمية فكان بلاط بني مرين مدرسة تعج بالأساتذة ورجال العلم والأدب ، بحث كانوا يقصدونه من كل حدب وصوب وبذلك ازدهرت الحركة العلمية وقوي التفاعل فكان الربح العظيم للحركة الفكرية [2] بحيث تطورت الحياة الفكرية بفاس التي كانت تعتبر مركز إشعاع علمي في الدولة المرينية حيث اشتهرت بفاس مراكز علمية وذلك من مدارس قرآنية ومساجد وحتى كليات التي كانت تقدم الدروس العليا [3] .

وكذا من المراكز التي شهدت ازدهارا ثقافيا وعلميا هي مدينة سلا ، التي ظهر بها مجموعة من العلماء الذين كان لهم دور في بعث الحركة العلمية في الدولة المرينية ، حيث نذكر من بينهم ، أبو العباس أحمد ابن محمد بن عامر الأنصاري المعروف بابن عاشر ، أصله بلدة شمينة بالأندلس ، حيث اتجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج ثم عاد إلى المغرب فأقام بفاس مدة ثم رحلة إلى مكناسة ثم بعد ذلك استقر في سلا وكان من العلماء الذين جمعوا بين العلم والعمل ومتمسكا بالكتاب والسنة وكان زاهدا وارعا ، فذاع صيته [4] .

---

[1] محمد ابن أحمد ابن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م ، ص 136.
[2] محمد ابن أحمد شقرون ، المرجع السابق، ص 136 .
[3] روجيه لوتورنو ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة : نقولا زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967م، ص 169 .
[4] محمد عبد المنعم محمد حسن، مدينة سلا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب جامعة ، الإسكندرية ، 1993، ص 81-82 .

حيث نشر ابن العاشر وغيره من العلماء ما معهم من العلوم والآداب ، وكذا أفاضوا على ناحية من فضل علومهم بحيث كان لهم أثر في نهضة وحضارة [1] .
ونذكر على سبيل المثال أن السلطان أبو عنان المريني ارتحل إلى سلا لزيارة ابن عاشر واستفاد من علمه، وذلك سنة757هـ/1356، حيث وقف أبي عنان ببابه مرارا فلم يأذن له ، ثم رصده يوم الجمعة وتبعه على قدميه بعد الصلاة ولكنه عجز عن لقائه ثم بعد ذلك أرسل السلطان إليه ولده راجيا ومستعطفا ، إلا أنه أجاب بالرفض ، غير أنه كتب له كتابا وعظه فيه ، فسر السلطان بذلك الكتاب . ومن هذا يمكننا القول أن سلاطين المرينيين كانوا على قدر وكذا حب من الاستفادة من العلماء وتقريبهم لسلطانهم [2]

كما اهتم المرينيين بالعلوم النقلية التي ضمت فيها العلوم الدينية وكذا الأدب وتاريخ الرحلات و كان لهم اهتمام بالعلوم العقلية ، وذلك لتعمير مدنهم وبناء قصورهم ، حيث من ينظر إلى مدارسهم سيجد أناه تم تزويدها ببعض المراصد الفلكية والساعات الهامة وذلك مثل ما توفرت عليه المدرسة البوعنانية [3]

ولقد برزت شخصيات علمية ذاع صيتهم في دولة بني مرين ، بحيث كان من بين هؤلاء العلماء ابن البناء وهو أبو العباس أحمد ابن عثمان الأزدي المراكشي العددي [4] كان من أهل مراكش ولد سنة 654هـ/1256م كان باحثا ورياضيا ، وله عدة مؤلفات ومنها حاشية على الكشاف ، وكذلك كتابه منتهي السيول في علم الأصول ، وله أيضا كتاب اللوازم العقلية في مدارك العلوم [5] ألف كذاك أكثر من سبعين كتابا في الحساب والهندسة والجبر، والفلك والتنجيم، وذلك ككتاب تلخيص أعمال الحساب ، ومقالات في الحساب ، وكتاب الجبر والمقابلة [6] توفي ابن البناء بمراكش سنة721هـ/ 1321م [7] ، وكان ممن برزوا في مجال العلوم في هذا العهد، عمر بن محمد الرجراجي أبو علي الفاسي ، كان من أولياء الله ، فكان إماما

---

1 عبد الله السويسي، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1979م، ص 166 .
2 محمد عبد المنعم محمد حسن، المرجع السابق، ص 82 .
3 رشيد خالدي ، المرجع السابق، ص ص 50-51-52 .
4 ابن قنفد القسنطيني ، الوفيات، تحقيق : عادل نويهض، ط4، 1983 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ص 343 .
5 خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ص 222.
6 عبد الله طويلب ،الروابط لثقافية بين الدولة المرينية و دولة بني نصر في الأندلس ق7-10هـ /ق13-16م ، رسالة ماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2009-2010،ص70 .
7 ابن قنفد القسنطيني ، المصدر السابق ، ص343 .

بالفرائض والحساب ، تولى الخطابة بجامع الأندلس بفاس [1] وكذلك من العلماء الذين اشتهروا بالطب أبو الحسن ابن الشيخ الطبيب بن أبي الحسن علي العنسي المراكشي واشتهر كذلك في الكيمياء والعلوم العقلية [2] . اهتم بنو مرين ببناء المرستانات وكذا خصصوا بجامعة القرويين كراسي لتدريس الطب النظري [3] ، وهذا كله يوضح لنا انتشار العلوم العقلية وحتى النقلية التي كان لها دور في ازدهار وتطور الحياة الفكرية والثقافية في العهد المريني .

المبحث الثاني: المؤسسات والمراكز الثقافية عند المرينيين .

ا/ المساجد:

1/ جامع القرويين : أسس جامع القرويين على يد فاطمة بنت محمد الفهري، وهي بنت أحد أثرياء القيروان في تونس، وذلك كان سنة 857م أي قبل مائة سنة من تأسيس جامع الأزهر بالقاهرة حيث كانت مساحته محدودة ، إلى أن اتسعت فيه نطاق التعليم جعلها تتسع عام بعد الآخر [4] حيث تم توسيع هذا الجامع سنة 344هـ/955م ، حيث استقطب هذا الجامع العلماء والطلاب من مختلف الأقطار الإسلامية [5] عرف جامع القرويين نشاطا ثقافيا وفكريا عبر الأزمنة التي وجد فيها ، حيث زاد نشاطه في عصر بني مرين فكثرت من حوله مدارس إيواء الطلبة ، وكانت هذه المدارس مجهزة بأحسن التجهيزات بالنسبة لهذا العصر ، وذلك مع جمال شكل ومتانة البناء وسعته، وكذا توفر المرافق الضرورية لحياة الطلاب [6] ،

---

[1] أحمد بابا التنبكي، نيبل ابتهاج بتطريز الديباج ، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، ج2-1 ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ص 303 .

[2] رشيد الخالدي ، المرجع السابق ، ص52.

[3] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 182 .

[4] روم لاندو ، جامعة القيروان بفاس، تعريب: محمد الخطيب، مجلة دعوة الحق، ع1، السنة الثانية، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، 1958، ص26 .

[5] رشيد الخالدي، المرجع السابق، ص 42 .

[6] عبد القادر العافية ، يوميات طالب بالقرويين في القرن التاسع للهجري ،مجلة دعوة الحق، ع272، 1988، وزارة الأوقاف الدينية والشؤون الإسلامية، الرباط المغرب، ص 139.

كان يحتوي جامع القرويين على مكتبة التي احتوت آلاف من المخطوطات وذلك في عصر السلطان أبن عنان المريني بحيث هذه المخطوطات غنمت من الملك المسيحي في إشبيلية [1] . عرف جامع القرويين بفاس خلال القرن الثامن هجري ، الرابع عشر ميلادي انتشار ظاهرة كراسي العلم في هذا المسجد ، بحيث كان يشرف عليه العلماء والأساتذة [2] حيث نذكر على سبيل المثال بعض كراسي العلم التي كانت مشهورة في العهد المريني فمن بينها ثلاث كراسي اشتهرت في هذا العهد هي:

1- **كرسي الونشريسي:** وهو ربيع سليمان الونشريسي الفاسي ، المتوفى سنة705هـ/1305م كان يدرس بجامع الأندلس وكان يقوم في دروسه على تفريغ والمدونة .

2- **كرسي ابن حسن الصغير:** هو أبو الحسن علي ابن محمد ابن عبد الحق الزرويلي الفاسي معروف بأبي الحسن الصغير، توفي سنة 719هـ/1319م ، كان له كرسي بجامع القرويين كان يدرس فيها كتاب تهذيب البرادعي ، وكذا درس فيه المدونة .

3- **كرسي التهذيب بالمدرسة العنانية:** نشأة أبو عنان المريني بفاس ورشح للتدريس فيه لآبا الحسن علي الصرصري، ويعتبر هذا آخر كراسي المرينيين ، وهناك كرسيان أنشآ أواخر العهد المريني ، حيث صارا ينسبان لابن غازي ، وعبد الواحد الونشريسي [3] . وكان جامع القرويين مركزا لنشر العلوم التالية:

تفسير القرآن الكريم – التجويد – القراءات – الرسم – الحديث الشريف – علوم الحديث – الفقه المالكي بكل فروعه – أصول الفقه – علم الكلام – التصوف – وكذا درس بجامع القرويين علم اللسانيات كاللغة والنحو والبيان والعوض والقوافي والأدب ، وكذا شمل جامع القرويين مبادئ علوم العدد والفلك والهيئة والطب والهندسة والمنطق، بحيث نتبين من هذا أن جانه القرويين كانت له الصدارة وهذا

[1] روم لاندو ، المرجع السابق، ص 26 .
[2] رشيد خالدي، المرجع السابق، ص 43 .
[3] محمد المنوني، كراسي الأساتذة بجامعة القرويين، مجلة دعوة الحق، ،ع4، السنة التاسعة، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط، المغرب، ص 93 .

خاصة في العصر المريني الأول [1] فمن أشهر العلماء الذين درسوا في جامع القرويين ابن خلدون وكذا ابن خطيب ، وابن حزرام وابن باجة ، ولربما ابن العربي وغيرهم ، كما يظن أن من تلامذة جامع القرويين نجد ابن ميمون والمؤرخ حسين ابن الوزان معروف بليون الإفريقي [2] . عرف جامع القرويين في العهد المريني عدة إصلاحات وإضافات كانت تتم تحت إشراف كامل من سلاطين بني مرين ، بل أن بعضهم تبرع من ماله وذلك لإتمام الإصلاحات ، فنذكر على سبيل المثال السلطان يوسف ابن يعقوب الذي تبرع بخلخال من ذهب والذي يقدر بخمسمائة دينار من ذهب وذلك لمساهمته في إعادة بناء الحائط الجوفي لمسجد القرويين ، حيث أشرف على بناء الحائط الفقيه القاضي أبو غالب المغيلي ، حيث انتهى بنائه سنة 699 هـ/ 1299م [3] ويضيف الوزان جامع القرويين يقول داخل الجامع على طول الجدران يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء ، بحيث يقولون على شعب دروسا تتعلق بالأمور الدينية والأخلاقية فتبدأ الدروس بعد الصلاة الفجر بقليل ، وتنتهي بعد ساعة من شروق الشمس ولا تلقى فيه الدروس صيفا إلى بعد منتصف الليل إلى الساعة الواحدة والنصف صباحا [4].انظر الملحق رقم 02.

2- الجامع الكبير بتازا:

أنشأ هذا الجامع الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (1152-1163م)، ووسعه السلطان المريني أبو يعقوب، وأصلحه ورممه السلطان أبو عنان، ويعتبر من أجمل المساجد في شمال المغرب بعد القرويين بفاس[5] أنظر الملحق رقم 03.

3- جامع فاس الجديدة:

لما تم بناء فاس الجديدة أمر السلطان أبو سيف يعقوب المريني(656-685هـ/1258-1286). حيث بني جامع فاس الجديدة سنة 677هـ/1278م، وكان

---

[1] محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين ،المرجع السابق، ص 256 .
[2] روم لاندو، المرجع السابق، ص 27 .
[3] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 323 .
[4] حسن الوزان، وصف إفريقيا ، ترجمة عن الفرنسية :محمد حجي ومحمد الأخضر ، ط2 ،ج1، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1983 ، ص 24 .
[5] عبد الله طويلب، المرجع السابق، ص48 .

بنائه على يد أبي عبد الله بن عبد الكريم الحدودي، وأبي علي بن الأزرق والي مكناس حيث نفق فيه مال معصرة مكناسة، حيث لم يخدم في بناء هذا الجامع الكبير مع المعلمين، مجموعة من الروم الذين أسرهم وقدم بهم من الأندلس، كلن أول خطيب بجامع فاس الجديدة الفقيه المحدث محمد ابن أبي الزرع، ففي رمضان 687هـ تم عمل وإلقاء الخطب عليه[1]، وفي سنة 679هـ علقت بالجامع ثريا ووزنها سبعة قناطير وسبعة عشر رطلا[2]، وعدد كؤوسها مائة وسبعة وثمانون كأسا، كان من صنع المعلم الحجازي، وكان الإنفاق فيها من جزية اليهود[3]، ويعتبر هذا المسجد مغربي أندلسي في هيئته، بحيث يتكون من بيت الصلاة، وصحن واسع يحتل النصف الثاني، أما المئذنة توجد به في الركن الأيمن من الجدار المقابل لجدار القبلة أي في الجدار الشمالي[4]، وكان الجامع بمحاذاة قصر سلاطين بني مرين وكان هذا الجامع كبير وأنيق[5].

4- جامع الحمراء:

قام بتشييد هذا الجامع السلطان أبو عبد الحسن المريني(732-749هـ/1331-1348م)، وكان هذا المسجد يشبه في زخرفته مسجد العباد الذي أنشأه المرينيون في مدينة تلمسان[6]،لما يرجعه البعض إلى المرأة الحمراء أو المنارة الحمراء الواقعة بجانب المحجبة الكبرى لفاس الجديدة حيث لم يعرف بالضبط تاريخ وجوده[7]،حيث يذكر أن امرأة الحمراء كرست كل ثروتها لبناء هذا الجامع ولذلك سمي هذا الجامع باسم لالة الحمراء بفاس الجديدة[8] كما بنى أبي الحسن المريني عدة مساجد، كمسجد الصفارين ومسجد حلق النعام بحيث كان كل واحد منهما في غاية الكبر والضخامة وكانت لكل هذين المسجدين صومعة ذات ارتفاع حسن، وبني كذلك مساجد عدة وصوامع بالمدينة البيضاء وكذا بالمنصورة من مدينة سبتة الجامع متصل بالقصر السعيد وهو جامع حافل وكذا بني أبي حسن المريني عدة

---

1 ابن أبي الزرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، المصدر السابق، المصدر السابق،ص89.
2 أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص89.
3 ابن أبي الزرع ، المصدر السابق ، ص162.
4 عبد الله طويلب ، المرجع السابق ، ص48 .
5 روجيه لوتورنو، المرجع السابق، ص37.
6 رشيد خالدي، المرجع السابق، ص45.
7 روجيه لوتورنو، فاس قبل الحماية، ترجمة إلى العربية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ص ص98-99.
8 عبد الله طويلب، المرجع السابق، ص49.

مساجد بطنجة وسلا وشالة ما يقتضي منه العجب وكذا بقصبة مدينة بتازا وبمكناسة ومراكش[1].

5- جامع الزهر : قام بتشييد هذا الجامع أبو عنان المريني 748-759هـ/1348-1358م في فاس الجديد وكان هذا المسجد في الجمال والسعة والزخرفة [2] وأسس هذا الجامع سنة 759هـ/1357م ، ولهذا المسجد مأذنة عبارة عن برج مربع التخطيط طول ضلعها 3.50م ، وارتفاعها من أرضية المسجد إلى قمة الشرفات 16.85 م ، مطموسة في جزءها الأسفل[3] .

ب/ المـدارس:

اختصت المدارس في هذه الفترة في المغرب الإسلامي بتدريس العلوم الدينية والفقه على المذهب المالكي ، حيث تولى بنو مرين الدفاع عنه وحمايته [4] ، ومن بين هذه المدارس :

1- مدرسة الصفارين: هي أول مدرسة شيدت في عصر بني مرين وكانت تقع بين جامع القرويين، ووسط دكاكين الصفارين [5] ومؤسسها أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق [6] بحيث حفظت بها مجموعة من الكتب العربية ، التي سلمها دون سانش لبني مرين في صلح المبرم عام 684هـ/1285م [7] حيث جاءت مدرسة الصفارين بسيطة في بناءها [8] وأنشأت هذه المدرسة حولي 670 هـ/ 1270 م [9] .

---

[1] محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق :ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981،ص401-402.

[2] رشيد الخالدي ، المرجع السابق، ص45 .

[3] عبد الله طويلب ، المرجع السابق ، ص 45 .

[4] عبد الله طويلب، المرجع السابق، ص 50 .

[5] روجيه لوتورنو ، فاس قبل الحماية، المرجع السابق ص 105.

[6] روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين ، المرجع السابق، ص 28 . وانظر: نشاط مصطفي، محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني، تنسيق وتقديم: محمد العيادي، مطبعة فضالة، محمدية ، المغرب، ص 31 .

[7] روجيه لوتورنو ، فاس قبل الحماية، المرجع السابق ص 105.

[8] عبد الله طويلب، المرجع السابق، ص 51 .

[9] رشيد خالدي، المرجع السابق، ص 47 .

2- مدرسة دار المخزن: بنيت هذه المدرسة بأمر من السلطان أبو سعيد عثمان المريني وذلك سنة 720هـ/ 1320م حيث شيدت بالقرب من الجامع الكبير بفاس الجديدة [1] وكان لها طلبة يتلون

القرآن وأحباس كثيرة [2].

3- مدرسة الصهريج: بناها أبو الحسن علي ابن أبي السعد عثمان المريني، ، وذلك في سنة 721هـ/1321م ، كانت توجد هذه المدرسة بالقرب من جامع الأندلس بعدوة فاس [3] وأخذت اسمها من الصهريج المستطيل الموجود بفنائها ، وقد كلف بناءها أكثر من مائة ألف دينار وكان بها أساتذة نظاميون [4]

4- مدرسة السبعين: هي مدرسة بناها الأمير أبو الحسن المريني ، وبنيت في نفس الفترة التي بنيت فيها مدرسة الصهريج 721-723هـ/1321-1323م ، بحيث تعتبر مرحلة اتصالها بمدرسة الصهريج ، تميزت بصغر حجمها حيث كانت لا تتعدى نصف حجم مدرسة الصهريج ، وسميت بمدرسة السبعين لأنها خصصت للقراءات السبع [5] .

5- مدرسة العطارين: بنيت سنة 723هـ/1323م في عهد السلطان أب السعيد عثمان وكان بناءها على يد الشيخ عبد الله ابن القاسم المزوار بفاس، وكان قد حظر السلطان أبو السعيد بنفسه لعملية بناءها ، حيث وضع الحجر الأساس للمدرسة ، واشترى لها السلطان عددا من العمارات ، وكان لها من 30 وخمسين بيتا [6] ، وكانت هذه المدرسة من أجمل المدارس التي بناها بنو مرين ، حيث امتازت بتنسيق زخرفتها خصوصا في الصحن وبيت الصلاة ، وكان بهذه

---

[1] روجيه لوتورنو ، فاس قبل الحماية، المرجع السابق ص 105.
[2] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 156-157 .
[3] عبد السلام بن سودة ألمري ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، ضبط واستدراك: مكتب البحوث والدراسات، ط1، 1997، دار الفكر ، بيروت، لبنان، ص 22 .
[4] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 157.
[5] عبد الله طويلب، المرجع السابق، ص 52 .
[6] محمد ابن مرزوق التلمساني ، المصدر السابق، ص 405 . وانظر كذلك:إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 157 .

المدرسة أساتذة نظاميون وطلاب كثيرون [1] وكانت بالقرب من جامع القرويين في مدخل سوق العطارين [2]

6- مدرسة الطالعة بسلا: بناها أبو الحسن سنة 733هـ/1333م وهي غير بعيدة من المسجد الأعظم ، كان بظهرها ساقية ماء ، ويتوسط المدرسة صحن مفرش بالفسيفساء ، وفي وسطه صهريج صغير من الرخام، كما يوجد بيت للصلاة داخل الفناء وأربعة وعشرون بيتا للطلبة موزعة بين طابقين ، ومن المعلوم أن المسجد الأعظم بسلا مدرسته الجوفية كانت من بناء المنصور الموحدي ، كما قيل أن الفراغ من بناء المدرسة المرينية كان سنة 742هـ/1341م ، وقد نقش على جدرانها قصيدة في مدح أبو الحسن المريني [3]

7- المدرسة المصباحية : تعرف بمدرسة مصباح [4] حيث حملت اسم أول أساتذتها وهو أبو الضياء مصباح بن عبد الله اليلصوتي [5] كما كانت تسمى عند تشييدها بمدرسة الرخام ، وقد بدأت الأشغال بهذه المدرسة سنة 725هـ/1325م في عهد أبي الحسن المريني ، ولم تنتهي هذه الأشغال إلا في حدود سنة 747هـ/1348م [6] كانت تحتوي على 117 حجرة ، وتشمل ثلاث طبقات زيادة على السفلى ، ولها باب رئيسي منها يواجه باب ساقية العين من جامع القرويين [7] وتعد هذه المدرسة أغنى المدارس المرينية ، كما توفر لها عائدات الحبوس وذلك من غابات الزيتون والبساتين وكذلك خزائن الدباغة والحوانيت التي تدر عائداتها على الطلبة والمدرسين [8]

8- المدرسة البوعنانية: بدأ بنائها وتم في عهد أبي عنان المريني من سنة 751-757هـ / 1350-1357م ، وهي أجمل مدارس بني مرين ، حيث وصفها ابن

---

[1] نفسه ، ص 157

[2] ATLILIO GLUDIO, les jouaux de la civilisation islamique , Nouvelle Edition latines, 1982 ,P40.

[3] إبراهيم حركات ، المرجع السابق، ص 157 .

[4] محمد ابن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 406 .

[5] إبراهيم حركات ، المرجع السابق، ص 157.

[6] رشيد الخالدي، المرجع السابق، ص 48 .

[7] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص 157-158.

[8] عبد الله طويلب، المرجع السابق، ص 53 .

خلدون لأنه لم يرى لها نظير بالمشرق [1] ، وقد وصفها كذلك ابن بطوطة بقوله " لا نظير لها سعة وارتفاعا ونقش الجص بها لا قدرة لأهل المشرق عليه" [2] ، وخصص لها أبو عنان أحباسا عديدة منها حمام ونزل مجاور له بمقابلة المدرسة وكذا كانت توجد بجوارها أفران واصطبلات ودكاكين بزنقة الغابة القصر حولي أربعة وسبعين دكانا ، وكان كل هذا للإنفاق على طلابها وأساتذتها ، وكانت لها منارة في غابة الروعة ، وقد صنعت لها ساعة مائية سنة 783هـ/ 1362م ، وكانت تقام في هذه المدرسة صلاة الجمعة [3] ، واعتبرت هذه المدرسة ختاما لسلسلة المدارس العظمى التي شيدها المرينيون [4] .

المبحث الثالث: العلوم الدينية في العصر المريني .

أ/ الفقه:

شهد العصر المريني ازدهار العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه ، وتوسع في دراسة هذه العلوم إلى مدى بعيد ، وكان الدليل على اهتمام المرينيين بالعلوم الدينية كثيرة العلماء الذين نبغوا في هذه العلوم ووفرة مؤلفاتهم [5] ودليل على ذلك الهيئة العلمية التي كانت وجهتها إلى إفريقية ، حيث غرق العديد من العلماء والكتب في الأسطول الذي كان في السلطان أبي عنان المريني،و قيل أن عدد العلماء الذين

[1] ابراهيم حركات ، المرجع السابق، ص 158 .
[2] رشيد الخالدي، المرجع السابق، ص 48 .
[3] ابراهيم حركات ، المرجع السابق، ص 158 .
[4] عبد الله طويلب ، المرجع السابق، ص 54 .
[5] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 341 .

غرقوا في هذا الأسطول أربعمائة عالم ، ويدل هذا على وفرة الدولة المرينية على مجموعة من الفقهاء الذين ساهموا في إثراء المجال الديني في هذا العصر [1] ، والذي بلفت النظر أن هذه العلوم تأثرت بالروح الدينية التي سادت المغرب أيام المرينيين، حيث تشجعت تلك الروح بالمذهب المالكي، وأصبحت كل من علوم التفسير والحديث والفقه تساير هذا المذهب، [2] فانتصر المذهب المالكي في عصر بني مرين ، ولم يكن غريبا أن تبذل مجهودات لوقاية هذا المذهب و الإلمام بأصوله و فروعه فكان الأمر كذلك في الواقع إذ أصبحت الدولة والأوساط العلمية وطبقات الشعب المختلفة لا تفكر في سواه ، ولا تقتبس معلوماتها الدينية والدنيوية إلا منه، فكثر عدد الفقهاء وضخم إنتاجهم حتى أصبح من العسير إحصائهم بالضبط كما أصبحت مؤلفاتهم تقدر بكميات وافرة ، حيث أصبح من الصعب جمعها في قائمة محصورة [3] ورغم أن بعض الفقهاء كانوا على علم بالمذاهب الأربعة إلا أنهم كانوا يرجحون المذهب المالكي عليها وهذا كالفقيه أبو محمد محمد عبد الله الورياغي، الذي كان أحد كبار الفقهاء في العصر المريني، حيث كان يدرس المذاهب الأربعة ، ويرجح مذهب مالك عليها [4] . ويظهر أن السلطان يعقوب انب عبد الحق حاول أن يعمم تطبيق المذهب المالكي على سائر المحاكم المغربية [5] .

وسبب كثرت الفقهاء والكتب الفقهية ، الضغط الذي كان موجود على رجال هذه العلوم في العصر الموحدي التي كانت تضطهد مثل هذه العلوم التي تراها منافية لعقيدتها ، فكان هذا هو رد فعل عن تلك الحركات الاستفزازية المنافية في استقلال الناس في حريات أعمالهم ومآتيهم فهذا السبب هو باعث على نشاط هذه العلوم الجديدة ، ورواجها هذا الرواج كله ،حيث وبانتشار الواسع للعلوم الدينية في العهد المريني كثرت مسائل هذه العلوم كثرة لا مزيد لها [6] وكانت فاس موطنا لعلوم الشرعية واللسانية وبعض فروع الفلسفية ، التي كان يغلب عليها الطابع الفقهي ، فيذكر ابن الدراج أن الفقهاء هم المتميزون بمعرفة الفقه في المغرب، ويصفها أبو

---

1 عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ط2 ، ج1، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان، 1961، ص 185 .
2 محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 341 .
3 محمد ابن أحمد ابن شقرون، المرجع السابق، ص 193 .
4 محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 341 .
5 محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين ، المرجع السابق، ص 153 .
6 عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 189 .

القاسم التجيبي بدار الفقه المغرب ويقول عنها أبن أبي الزرع : " وفقهاءها الفقهاء الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب " [1] ، حيث كان في العهد المريني الطبيب فقيها ، والشاعر فقيها ، والفيلسوف والكاتب والحسابي وغيرهم كانوا فقهاء قبل كل شيء ، كذلك كابن المرحل والعبدري وابن رشيد وابن بطوطة وابن البناء ، وغيرهم من أعلام هذا العصر ، حيث أن هذا الأخير رغم اشتهاره بالعلوم الرياضية وبروزه فيها إلا أنه ترك مؤلفات في التفسير والحديث وفي الفقه، حيث نذكر منها ، تفسير الباء من البسملة ، وكذا جزء الصغير على سورتي أنا أعطيناك الكوثر ، والعصر إن الإنسان لفي خسر ، وكذا حاشية عن الكشاف الزمخشري ، وكذا كتاب الاقتضاب والتقريب للطالب اللبيب في أصول الدين ، ومقالة في الرد على مسائل مختلفة الفقهية والنحوية وكتاب تسمية الحروف وقضية وجودها في أوائل السور القرءان ، رسالة من أسماء الله الحسنى، حيث تعتبر هذه المؤلفات كلها تعالج مشاكل دينية من تفسير وحديث وفقه، حيث تدل هذه الكتب على أن أصحابها كانوا يتوفرون على ثقافة دينية وعلى معرفة كبيرة في الفقه وأصوله [2] .

ولقد ألف في عصر المرينيين عدد وافر من كتب الفقه والعلوم المرتبطة به ومن حملتها :

1- المناسك الفقهية المنوطة بالأحكام الشرعية لابن المنصور المغراوي .
2- شرح مختصر خليل للقوري فيه 8 مجلدات .
3- تقييد على مدونة لأبي موسى الجناني المتوفى سنة 830هـ/1427م .
4- الأجوبة في التفسير لابن البقال .
5- المدخل لابن الحجاج الفاسي.
6- تقييد على مدونة لابن عمران العبدوسي المتوفي سنة 776هـ/1374م .
7- شرح الموطأ للزناتي المتوفي سنة 702هـ/1302م [3] .

كما اشتهر عهد بني مرين بعدة أئمة فقهاء الذين كانوا أستذة عصرهم ، ونذكر على سبيل المثال[1] الفقيه الحافظ عبد الرحمان ابن عفان الجزولي ، شيخ المدونة

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 252 .
[2] محمد أمحمد بن شقرون، المرجع السابق، ص 193 .
[3] إبراهيم حركات ، المرجع السابق، ص 170 .

كان أعلم الناس بمذهب مالك بن أنس وأصلح الناس وأورعهم ، كان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه معظمهم يستظهر المدونة ، وكان يحظى بمكانة جيدة عند السلاطين بحيث أبو حسن المريني نزل عن فرسه إجلالا له وإعظاما له . أخذ عنه أبو الحسن الصغير وغيره ، توفي سنة 741هـ / 1340م [2] ، وكان كذلك من أشهر الفقهاء أبو الحسن الصغير الذي تقدم ذكره في القضاء ، ومحمد ابن البقال الذي كان مشاركا في علوم كثيرة كأصول الفقه والفلسفة والأدب توفي بفاس سنة 725هـ /1325م[3] ومنهم كذلك الفقيه موسى بن محمد بن المعطي العبدوسي المتوفى سنة 776هـ/1325م، حيث كان من الأئمة الفقهاء في عصر بني مرين حيث تتلمذ عليه مجموعة من الفقهاء والمدرسين وحفاظ المدونة وذلك رغم مكانتهم العلمية والدينية العالية، وكذا من بين فقهاء هذا العهد القباب أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمان المشهور بحفظه لمذهب مالك وكان له تأثير مباشر على فقهاء عصره، توفي بفاس سنة 818هـ/1415م، حيث رجع المؤرخون أنه هو أول من أدخل مختصر خليل ابن إسحاق المالكي إلى فاس، وكان كذلك من أعلام الفقه المالكي في هذا العصر أبا الحسن الصغير الزرويلي المتوفي سنة 719ه/1319م، حيث كان يفتتح مجلسه بثمانين ديوانا فيعرضها حفظا عن ظهر قلب، حيث ولى القضاء بتازة ثم فاس، كما كان من أعلام هذا العصر في الفقه محمد بن سليمان الشطي الفاسي شيخ وإمام المذهب اختاره أبو الحسن سفيرا له بتونس سنة746هـ، كما لا يجب ألا ننسى العلامة الشهير ابن النشاط أبا القاسم بن عبد الله بن محمد الأنصاري السبتي توفي سنة 723هـ، وكذلك من فقهاء هذا العهد أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن علي بن غازي متوفي سنة 918 هـ/1512[4].

ب/التفسير وعلوم القرآن:

اهتم العلماء والمفسرون في العصر المريني بدراسة القرآن باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي، كما اهتم سلاطين بني مرين أيضا بالقرآن الكريم وتفسيره، وفهمه فعلى سبيل المثال كان السلطان أبو عنان حافظا للقرآن عارفا

---

[1] محمد أحمد ابن شقرون، المرجع السابق، ص 194 .

[2] أحمد ابن القاضي المكناسي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، ج1 ، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ، المغرب ، 1973م ، ص ص 170-171 .

[3] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص 170-171 .

[4] محمد ابن شقرون، المرجع السابق، ص194-195.

بناسخه ومنسوخة[1] حيث يقول الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري في كتابه الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أن السلطان أبو عنان المريني كان متميزا عن سائر إخوته لفضله وعمله وصيانته وعفافه واستظهار القرآن الكريم[2]
ويروي الكتاني أن أبا عنان استدعي محمد ابن إبراهيم الصغار المراكشي، وهو من علماء القرآن السبع، فكان يعرض عليه القرآن الكريم بروايته السبع[3].

ومن علماء الذين اهتموا بتفسير القرآن، بحيث يأتي في البداية "تفسير القرآن الكريم" كابن الربيع الاشبيلي نزيل سبتة توفي سنة 688هـ/1289م وكان أبو القاسم التجيبي سمع طائفة منه ومن إملائه وأجازه جميعه[4]، وكذلك ممن اهتموا بتفسير، محمد بن يوسف بن عمران المزدغي وكان محدثا حافظا له كتاب في تفسير القرآن[5]، وفي سبتة نجد ابن عزيز مالك بن عبد الرحمان بن علي المصمودي توفي سنة 699هـ/1300م، صاحب كتاب "نظم غريب القرآن"، وفي مدينة مراكش نجد ابن البناء أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي توفي في 721هـ/1321م، حيث كتب خمسة كتب في هذه المادة، وفي مقدمتها "تعاليق على الكشاف" للزمخشري، وكانت كذلك بين مصادر كتبه في التفسير كتاب" مراقي المجد لآيات السعد" وإلى جانب هذه التعاليق على الكشاف، كتب ابن البناء تفسيرا وصف بأنه في منحى "ملاك التأويل"، والإشارة بهذا إلى كتاب ابن الزبير:" ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللقط من أي التنزيل"، بحيث يتضح من هذا العنوان تتبين طبيعة كتاب ، والذي وضع في هذه المادة ثلاث مؤلفات أخرى:

- تفسير سورتي العصر والكوثر .
- تفسير الباء من البسملة .
- رسالة في تسمية الحروف ، وخاصية وجودها في أوائل السور القرآن الكريم [6]

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص341.
[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص181.
[3] محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص341.
[4] محمد منوني ، المرجع السابق ، ص265.
[5] محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص341.
[6] محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص ص 265-266 .

وكذلك ممن اشتهروا في علم التفسير ، محمد ابن محمد ابن علي المعروف بابن البقال المتوفي سنة 725هـ/1324م [1] ، وقد خلف رسالة ضمنها أجوبة عن تسعة وعشرين سؤالا في التفسير ، قدمها له عبد الرحمان ابن العشاب ، ولحسن الحظ حافظ الونشريسي عن مجموعة الأسئلة والأجوبة وأثبت نصها في المعيار [2] وكان كذلك ممن اشتهروا في علم التفسير محمد ابن علي العابد الأنصاري المتوفى سنة 762هـ/1362م الذي اختصر التفسير للزمخشري [3]، والمفسر أبو الحسن علي ابن سليمان الذي برز بعلم التفسير القرءان الكريم (706هـ/1306م) ، وكذا المفسر محمد ابن رشيد الفهري، كان ذاكرا للتفسير [4] ومنهم أيضا الخطيب ابن مرزوق الذي كان مشاركا في تفسير القرءان ، ومحمد ابن أبي البركات السكاك المتوفي سنة 800هـ/1397م ومحمد ابن أبي غالب بن أحمد السكاك المتوفى سنة 818هـ/1415م [5]

ج/ علم القرأت :

ووظيفتها معرفة طرق أداء القرآن الكريم [6] وان القراءات المتبعة في عهد بني مرين كانت قراءة نافع ابن أبي النعيم 169هـ/785م ، والتي تجمع بين روايتي ورش وقالون علي مذهبي حافظ أبي عمرو الداني، والإمام أبي عبد الله ابن شريح ، وقراءة حمزة ابن حبيب الزيات ، وتعد قراءة نافع والزيات

من القراءات السبع المشهورة [7] ، حيث أن علم القرآن أهم علم نبغ فيه المغاربة في عصر بني مرين ، فقد اشتغلوا فيه وأتقنوه، وهو الميدان الوحيد الذي سيطر عليه المغاربة سيطرة تامة [8] فكان من مشاهير هذا العلم ، أبو عبد الله الشريشي الحراز المتوفى سنة 718هـ/1415م ، وله تأليف عدة في علم القرآن منها رجز

---

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 341 .
[2] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 266 .
[3] نضال مؤيد، المرجع السابق، ص 134 .
[4] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص341-342 .
[5] نفسه ، ص ص 341- 342 .
[6] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 266 .
[7] نضال مؤيد، المرجع السابق، ص 130 .
[8] حسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب،ط2 ، 1986، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء، ص ص 258-259.

بعنوان " مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن " ، وله نظم أخر في رسم القرآن سماه " عمدة البيان" ، وكذلك من شيوخ القرآن في هذا العصر أبو الحسن علي ابن سليمان الأنصاري القرطبي المتوفى سنة 730هـ/ 1329م ومن تأليفه " التجويد ومختصره " و " المنابع في قراءة نافع " ، و " ترتيب الأداء " ، وكذا "جمع في الروايات في الإقراء" ، وكذا من أساتذة علم القرآن ، ميمون الفخار المتوفى سنة 816هـ1413م ، ومن تلاميذه أبو زيد عبد الرحمان ابن محمد الجاديري، الذي ألف رجزا في القرآن سماه " النافع في أصل حروف نافع " ، ومن علماء القراءات أيضا محمد ابن علي البقال المتوفى سنة 781هـ/1379م، وكذا محمد ابن محمد الزواوي [1] ، وكذا من أبرز الكتب كتاب " الكافي " لابن شريح ، وكتاب " الدر اللوامع في قراءة نافع " لابن البري ، وكذلك كتاب " نظم الفريد في أحكام التجويد " لأبي العباس أحمد بن محمد الحسني ، ومن أهم المقرئين : المقرئ عبد الله بن أحمد ابن عثمان الاشبيلي ، وكذا المقرئ أبو مروان عبد الملك ابن إسحاق الكتاني ، وكذا المقرئ مالك ابن مرحل كان يقرأ القرآن بطريقة القراءات السبعة ، والمقرئ محمد ابن عبد الله الأنصاري الإشبيلي ويكنى بأبا بكر نزيل سبتة ، وكذا المقرئ أبي عبد الله محمد ابن داود الصنهاجي المشهور بأجروم له تصنيفات في القراءات ، والمقرئ محمد ابن رشيد الفهري قرأ بسبتة على يد الأستاذ ابن أبي حسن بن ربيع ، واخذ عنه قراءات [2] .

د/ علم الحديث:

ازدهر علم الحديث في العصر المريني، باعتبار أن الحديث المصدر الثاني للتشريع الإسلامي حيث لقي علم الحديث رواجا كبيرا [3] ، وسبب هذا الازدهار يأتي من رحلات شخصيات من جهة المغرب إلى المشرق ، ولقائهم لأعلام المحدثين المشارقة بمصر والشام والحرمين الشريفين وغيرها ، وهذا إضافة إلى الاعتبار الذي تصفيه الدولة على أفراد من المحدثين المغاربة، وبذلك ازدهر الاشتغال بعلم الحديث وامتد على خط سير مع سبتة وتازا وفاس ومكناس ومراكش ، حيث تفرع علم الحديث في عهد بني مرين إلى مواد وهي :

---

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 342 .
[2] نضال مؤيد، المرجع السابق، ص ص ص 130-131-132-133 .
[3] محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق، ص 342 .

- مجموعة الأحاديث النبوية وكذا كتب في فقه الحديث وعلم الحديث والسيرة النبوية [1] حيث درس المرينيون كتب عديدة منها كتاب الموطأ وصحيح مسلم لابن الحجاج بن مسلم القشيري وكذا كتاب " جامع ما في آخره من العلل " لابن عيسى محمد بمن عيسى الترمذي ، ويقال له جامع الصحيح والسنن لابن ماجة (273هـ/886م) والسنن لأبي داوود (275هـ / 888م) وكذا السنن للنسائي (303هـ/915م) ، وكذا كتاب الجمعة للنسائي ، وشفاء لأبي الحسن علي ابن عمر الدارقطني (385هـ/995م) ، والشفا للقاضي عياض (544هـ / 1149م) وعلوم الحديث لأبي الصلاح (643هـ/ 1245م) ، ومن أبرز ما ألف في عصر بني مرين كتاب " المحاكمة بين مسلم والبخاري " له تعليق على البخاري لأحمد ابن مرزوق ، وكذاك كتاب " تجديد الصحاح الثلاثة " لابن عبد الله الكرسبوطي الفاسي المولود سنة (690هـ/ 1290م) ، وكذا كتاب شرح الموطأ للزناتي 702هـ/1302م وكذا كتاب " السنن الآبين والمورد المعنن في محاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم في سند المفتن لأبي رشيد الفهري [2] وكان من أوائل علماء الحديث في هذا العصر الحافظ عبد المهيمن الحضرمي الذي كان إماما في علم الحديث ، وكان كذلك محمد ابن عبد الرزاق الجزولي من علماء الحديث الذين تألقوا في مجلس السلطان أبي عنان ، حيث كان هذا السلطان يأخذ عنه الحديث ، ومحمد ابن عبد الرحمان التميمي ، الذي يروي الحديث بأسانيده ، كما يعتبر ابن رشد الذي توفي سنة 721هـ/1321م شيخ المحدثين في عصر بني مرين ، كما اشتهر كذلك في هذا المجال محمد ابن سعيد ابن محمد بن عثمان الأندلسي المتوفى سنة 778هـ/1376م الذي ألف " تحفة الناظر ونزهة الخاطر في غريب الحديث " ومنهم أيضا يحيى ابن أحمد السراج متوفى سنة 805هـ/1402م الذي كان فقيها محدثا ، انتهت إليه رواية الحديث ورياسته في العصر المريني [3]

[1] محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 282 .
[2] نضال مؤيد ، المرجع السابق ، ص ص 135-136 .
[3] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص 342-343 .

الفصل الثالث: التصوف في الدولة المرينية.

المبحث الأول: مظاهر التصوف في العهد المريني وبعض طرق الصوفية.

ازدهر علم التصوف وخاصة في العهد المريني حيث استنبط وتكلم عن أسس التصوف عدة علماء وذلك كابن خلدون الذي ذكره في مقدمته وعرفه فيها، بحيث تأثر ابن خلدون بالنظريات الصوفية في المغرب ويقول في عودته من المغرب إلى الأندلس أنه وصل وله ورد و وظيف وسبحة وحظ من الخير، وألف كذلك ابن الخطيب كتابه "روضة التعريف في حب الشريف"، التي حوكم من أجل شطاحتها، وفيها تضمن تحليلا صوفيا لأسرار الحب والنفس، كما اشتهر كتابه "نفاضة الجراب بأخبار صلحاء مع المغرب"، كما ألف" الغيرة على أهل الحيرة" وكذا سد الذريعة في تفصيل الشريعة، وهذه بعض الكتب التي اهتمت بدراسة ظاهرة دينية وهي التصوف في المغرب الإسلامي[1] .

- حيث اكتسبت الحياة الدينية في عهد بني مرين مظاهر جديدة وذلك بسبب نشاط الحركة الصوفية من جهة ودخول العناصر اليهودية في الميدان السياسي إلى جانب الاحتكاك بالمسيحيين المتوافدين على المغرب كغزاة أو تجار، حيث لوحظ أن الحركة الصوفية قد اتسع نطاقها، حيث كان ذلك راجع لدور زعمائها في التوجيه الروحي[2] ، وكان بنو مرين يهدفون إلى إنشاء دولة ذات مبادئ دينية، وتكون موحدة لجميع أقطار المغرب الإسلامي(المغرب الأقصى ،الأوسط الأدنى)، فكانت على غرار الموحدين حيث استعانوا على تحقيق هدفهم عن طريق الزوايا الصوفية التي لعبت دورا هاما في حياة الناس في العصر المريني، فتفرعت في هذا العصر الكثير من الطرق بسبب كثرة المرابطين ذوي النفوذ الروحي مما أدى إلى تكوين عدة اتجاهات صوفية فازدهرت الطريقة الشاذلية في هذا العصر، حيث أصبحت هذه الطريقة لها انتشار واسع عند بني مرين، كما ساهمت الطريقة الجزولية التي تبعت في نشأتها واستمدت أفكارها الصوفية من الشاذلية، فكانت بذلك الدولة المرينية تسعى للوصول إلى سياستها وذلك عن طريق

---

[1] حسن السائح، الفكر المغربي في عصر بني مرين ، مجلة دعوة الحق ،ع8و9 ،سنة6 ، وزارة عموم الأوقاف ، الرباط ، المغرب ، 1936 ، ص 38 .

[2] إبراهيم حركات ، الحياة الدينية في عهد بني مرين ، مجلة دعوة الحق ، ع2 ، سنة 7، وزارة عموم الأوقاف ، الرباط ، المغرب ، 1963 ، ص7.

التفسح الاجتماعي الذي كان يجمع بين إحياء المذهب المالكي إلى جانب الحركة الصوفية[1]

امتاز العصر المريني بظهور عدد كبير من أقطاب التصوف وأساتذته الذين ناهضوا بالحركة الدينية في هذا العصر، ولم يكن سلاطين بني مرين يشعرون بأي خطر من امتداد نفوذ الصوفية في دولتهم لأن بنو مرين كانت لهم دولة قوية لها هيبة كبيرة، حيث عملوا على توحيد بلاد المغرب الإسلامي، بحيث كان يتطلب هذا التوحيد مزيدا من الحرية الدينية الفكرية، وذلك ما سعى إليه المرينيون، حيث أعطوا هذه الحرية لجميع أطياف المجتمع و ساعد هذا في تطور الحركة الفكرية بما فيها الدينية والتصوفية[2].

ولم تكن الحركة الصوفية في عهد بني مرين تكتسي صبغة التمرد المسلح على الدولة أو التكتل على حساب السلطة المرينية[3] ، كما تميز المرينيون ببيئة روحانية وصدق العقيدة، والتمسك القوي بروح الإسلام وبتعاليمه، حيث طغت هذه الروح على النفوس والأفكار والعواطف، بحيث حددت اتجاهاتهم وتصرفاتهم ومواقفهم من الحياة ومن طبيعة وما وراء الطبيعة من مادة ومن روح، فكانوا في حياتهم وفي مختلف مجالاتهم مؤمنين أشد الإيمان بالله، وبوحدانيته بملائكته ورسله، آخذين من الحياة الدنيا زاد الآخرة حيث الثواب والخلود في الجنة لمن أخلص لربه، حيث كان الكثير من الناس يغالون في هذا الاتجاه ويتطرفون في أفكارهم وعقائدهم خوفا من الوقوع في الشك وتجنبا للمعاصي، فوقع المجتمع والسلطة المرينية في نوع من الفراغ في الحياة الاجتماعية وحتى الاقتصادية، حيث خلت الميادين التجارية والفلاحية والصناعية وغيرها، وذلك راجع إلى الاهتمام الكثير بالحياة الروحية، وذلك ما ساعد على الفقر والاستسلام والرضا بالواقع وعدم المبالاة بالمستقبل في الحياة، حيث أدي هذا التطرف في العقيدة والسلوك إلى نوع شاذ من الزهد والتصوف وأقبل بعضهم يعيش لآخرته ليله كنهاره[4] ، حيث بدأت فكرة الصوفية المغربية تتبلور منذ القرن الثامن هجري محاطة بهالة من الإشكاليات، حيث ظهر بعض المبتدعة والأدعياء الذين نسبوا أنفسهم إلى

1 حسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب ، المرجع السابق ،ص 255.
2 محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 355.
3 إبراهيم حركات ، الحياة الدينية في عهد بني مرين ، المرجع السابق ، ص7.
4 محمد أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص ص 150-151.

المتصوفة، واعتبرها زروق أنها من مبادئ الزندقة التي كانت تحت الرياسة مع الضعف عن الأخذ بأسبابها[1]

وقسمت الحركات الصوفية ورجالتها في العصر المريني إلى قسمين رئيسيين[2]:

كان هناك نوعان حيث كان القسم الأول من التصوف في هذا العهد يتميز أصحابه بالتطرف في أفكارهم وطقوسهم وإحداثهم للبدع المنكرة، فبالنسبة لهذه الطرق الصوفية المتطرفة أشار الونشريسي إلى قوم تسموا بفقراء المتصوفة في عهد بني مرين[3] كانوا يجتمعون على الرقص والغناء فإذا فرغوا من ذلك أكلوا طعاما كانوا أعدوه للمبيت عليه، ثم يصلون بذلك بقراءة عشر من القرآن والذكر، ثم يغنون ويرقصون ويبكون، ويزعمون في ذلك كله أنهم على قرابة وطاعة، وكان يدعون الناس لإتباعهم والإقتداء بهم، وكانوا يطعنون على من لم يأخذ بذلك من أهل العلم، ويعتبرونهم أعدائهم كما تأثرت النساء بهذه الصوفية المنحرفة مقتفين أثرهم في ذلك[4]. حيث يستنتج من خلال كتاب الونشريسي" المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" ظهور طريقة صوفية متطرفة في العصر المريني عرفت بالطريقة العكازية أو الفقرية لأن أتباعها كانوا من الفقراء الذين تطرفوا في أفكارهم، حيث اشتهروا بالإباحة وتحليل ما حرم الله، واتهموا بالزندقة لإظهارهم الإسلام

واستثارهم الكفر وكذلك أثارت إحدى الفتاوى والنوازل إلى طائفة ظهرت سنة 786هـ/1384م، تنتمي إلى التصوف والفقر[5]حيث يذكر الونشريسي أنهم كانوا يجتمعون في كثير من الليالي عند واحد من الناس ، فيفتتحون المجلس بشيء من الذكر على صوت واحد ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الغناء والضرب بالأكف والشطح ، وهكذا إلى أخر الليل ، ويأكلون في أثناء ذلك طعاما يعده صاحب المنزل، ويحضر

---

1 منال عبد المنعم جاد الله ، التصوف في مصر والمغرب ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، الإسكندرية ، مصر ، ص209 .

2 إبراهيم حركات ، الحياة الدينية في عهد بني مرين ، المرجع السابق ، ص7.

3 كمال السيد أبو مصطفى ، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ، مصر ،1996 ، ص 105.

4 أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي ، ج 11 ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، الرباط ، ودار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص 30.

5 كمال السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق ، ص 106.

معهم بعض الفقهاء (أشباه الفقهاء) ، وإذا تكلم معهم في أفعالهم تلك يقولون: لو كانت هذه الأفعال مذمومة أو محرمة شرعا لما حضرها الفقهاء [1] .

فأفتى الفقهاء الذين عرضت عليهم تلك النازلة بأنه " ما أحدثوه في الدين يعتبر بدعة محدثة لم تكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو في زمن الصحابة ولا من بعدهم من التابعين " [2]

ومن جهة أخرى ألمح الونشريسي إلى انتشار الزوايا المتصوفة والغرباء في شتى أنحاء المغرب في أواخر العصر الإسلامي (في عصر بني مرين) حيث كانوا يجتمعون فيها على الأكل والذكر والشعر ، ثم يبكون ويشطحون طول الليل، ويقوم بعضهم بالرقص حتى يقع مغشيا ، حيث من الملاحظ أن الزوايا للمتصوفة غالبا ما تكون تتركز في الحصون والقرى البعيدة عن الحواضر التي يوجد فيها السلاطين بحيث يخلوا لهذه أن يظهروا ما انطوى عليه باطنهم من الضلال وعادات، فغالبا ما كانوا يضلون على الناس وعلى أنفسهم [3]

كما ظهر على هذا العصر أشخاص كانوا يدعون الكرامات ، وذلك في عهد السلطان يوسف ابن يعقوب المريني، حيث دعا رجل يدعى العباس ابن صالح على أنه رسول فاطمي ، وأدى ذلك إلى قيام ثورة شعبية ضد السلطان يوسف كادت تجتاح سلطانه [4] .

كما وجدت في العصر المريني نوع ثاني وهي طرق معتدلة ، حيث أشارت إحدى نوازل وجود طرق صوفية امتازت بالاعتدال ، بحيث كان أصحابها يجتمعون بأثر صلاة الجمعة في مجلس علي شيخ يختارونه حيث يكون هو أقواهم على الأذكار ، وأكثرهم استنباطا وفهما للأدب المريني ، بحيث عندما يجتمعون بشيخهم يقومون بالتسبيحات والتهليلات ، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يقرءون ما تيسر من كتاب الله ويختمه بالصلاة على الرسول صلى الله

---

1 أبي العباس أحمد ابن يحيى الونشريسي ، المصدر السابق، ص 39 .
2 كمال السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق ، ص 106 .
3 نفسه ، ص 106 .
4 عبد الحق ابن إسماعيل الباديسي، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق :سعيد اعراب ، ط2 ، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص 115 .

عليه وسلم [1] ، حيث تميزت هذه الطائفة المعتدلة أن كان من أفرادها أشخاص زهدوا وتصوفوا لمجرد الزهد ولم يؤسسوا طائفة معينة ، وأشهرهم ابن عاشر [2] وكان ذلك من من أثروا على المجتمع ، حيث اعترف المسلمون بهؤلاء الأشخاص من خلال سلوكهم وجدارة مكانتهم ، فالتمسوا منهم الناس البركة والدعاء واعتبروا بركتهم ممتدة أثناء الحياة وبعدها، فضلا عن دورهم الاجتماعي والأخلاقي والتربوي داخل المجتمع، بحيث أثروا على الفكر المغربي في العصر المريني وذلك من خلال أخلاقهم الكريمة وصفاء نفوسهم[3]، وقد ساهم أصحاب الحركة الصوفية بدور مهم في الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف وذلك يتمثل في الدور الذي لعبه، الصوفي أبو زيد الهزميري الذي توسط بالسلطان يوسف لرفع الحصار على أهل تلمسان للتخفيف من معاناة أهل تلمسان عقب الحصار الذي ضربه المرينيون عليهم[4].

فالحركات الصوفية التي ظهرت في الوهلة الأولى التزمت بالعمل بالكتاب والسنة ، خاصة بعد تغلب النصارى على الموحدين مما جعل العلماء يحاولون بث تلك الروح الدينية في نفوس المسلمين، وإبقاء شعلتها من جديد ، وذلك ليتشبثوا بعقائدهم ، ويتحمسوا لها دفاعا عن الإسلام[5] واتبع بنو مرين من طرق طريقة أبي مدين شعيب بن حسن الأنصاري الأندلسي 594هـ/1197م [6] ، وقد كان أبو مدين يعتمد الغزالي في تصوفه ، خاصة كتابه " إحياء علوم الدين" الذي جعله نصب عينيه، وهو يقول في هذا الصدد " طالعت أخبار الصالحين من زمن أويس القرني إلى زماننا فما رأيت أعجب من أبي يعزى ، وطالعت كتب التذكير فما رأيت كالأحياء للغزالي " [7] .

ثم تفرع عن مدرسة أبي مدين شعيب طريقتان مغربيتين :

---

1 كمال السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق ، ص 107 .
2 ابراهيم حركات ، الحياة الدينية في عهد الدولة المرينية ، المرجع السابق ، ص 7 .
3 نضال مؤيد، المرجع السابق، ص96.
4 أحمد المقري التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار عياض، المصدر السابق ، ص ص335 -336.
5 إبن قنفد القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير ، تحقيق :محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط ، 1965،ص 2
6 نضال مؤيد ، المرجع السابق ، ص 144 .
7 إبن قنفد القسنطيني ، أنس الفقير وعز الحقير ، المرجع السابق ، ص 21 .

أ/ طريقة محمد صالح بن ينصارن بن غفييان الدكالي ثم الماجري دفين أسفي والمتوفى عام 631هـ/1234م [1] حيث يعرف أتباعه بالماجرين، ومنهم الدكاليون [2] ، وكانت أركان هذه الطريقة تقوم بدعوة الأتباع إلى حج بيت الله الحرام وزيارة السيد الرسول عليه الصلاة والسلام[3]

ب/ طريقة أبي زكرياء الحاجي يحيى ابن أبي عمرو عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى ، ظهر آخر المائة السابعة للهجري ، وتاريخ وفاته مجهول ، ويعرف أتباعه بالحاجيين ، بحيث يقول ابن قنفذ ويلاحظ كذلك ابن مرزوق كذلك في المسند الصحيح أن سلوك أتباع أبي زكرياء الحاجي نوعان:

[1] محمد المنوني ، ورقات عن حضارة بني مرين ، المرجع السابق ، ص 409 .
[2] إبن قنفد القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 64 .
[3] محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 409 .

1- أتباع جهلة لا يفقهون ، ولا يفهمون
2- وأتباع تميزوا بصفة الأعلام وكبار الأولياء ، ومنهم أبو العباس أحمد بن العاشر الأندلسي الشميني [1]

وكذلك من الطرق التي اتبعها بنو مرين ، والتي كانت معتدلة وهي الطريقة الشاذلية ، فهي وليدة المغرب ، حيث ولد مؤسسها في جبال غمارة 591هـ/1195م القريبة من سبتة بالمغرب الأقصى [2] وسكن شاذلة أحدى القرى التونسية ، حيث انتسب في بعض مصنفاته إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه [3] حيث يقول ابن السكاك عند حديثه عن الطريقة الشاذلية :

" وهي احمد طرق السالكين رضي الله عنهم، لتأسيسها على أقوى الأركان ، وتزيين سماءها بدراري الأتباع الكامل وشموس الحقيقة والعرفان ... " [4].

وقد جاءت الطريقة الشاذلية ثالثة الطرق الشهيرة بالمغرب [5]. وقد وجد في المغرب في العصر المريني مدارس صوفية أخرى منها:

- **الشعيبيون :** أصحاب أبي شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي ، المعروف بأبي شعيب أزمور دفينها ، والمتوفى سنة 561هـ/1165-1166م .
- **الصنهاجيون:** وهم من أتباه الأشراف بني أمغار أهل رباط التيط ، ورئيسها عبد الله محمد أمغار ، يعرف بأمغار الكبير ، حيث ترجع هذه الطائفة إلى الطريقة الجندية نسبة إلى الإمام أبي القاسم الجنيد .

- **الحجاج:** وهم طائفة امتازت ، أن لا يدخل في جماعتهم إلا من حج بيت الله الحرام [6] .

---

[1] نفسه ، ص 410 .
[2] نضال مؤيد ، المرجع السابق ، ص 144 .
[3] صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، نكت الهيمان في نكت العميان ، تحقيق :أحمد زكي ، مطبعة الجمالية ، القاهرة ، مصر ، 1991 ، ص 213 .
[4] محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 411.
[5] نفسه ، ص 412 .
[6] نفسه ، ص 412 .

وكذا كان من الطرق التي اتبعها المرينيون هي طريقة الغمانيون ، وهم الذين كانوا يتبعون أبي زيد عبد الرحمان بن عبد الكريم الهزميري [1] ، حيث كانت طريقته مبنية على العزلة والاعتكاف ، وكان من أصحاب شيخ هذه الطريقة ، أبو عبد الله ابن محمد بن تيجلات ، وأبو العباس ابن البنا المراكشي الإمام الشهير ، ومحمد ابن أحمد ابن الشاطر الجمحي المراكشي [2]

المبحث الثاني: الزوايا عند المرينيين .

أ/ نشأة الزوايا: إن الكلام عن التصوف في العهد المريني ، أو في المغرب بصفة عامة يجرنا حتما إلى الكلام عن المعاهد والمدارس التي تخرج منها وترعرع فيها أقطاب الصوفية بهذا البلد وهذا العصر، والتصوف بالمغرب مقرون بذكر الزوايا، فلا يمكن بأي حال من الأحوال الكلام عن أي تصوف مغربي ، دون الكلام عن الزوايا والمدارس التي ترعرع فيها هذا الصوفي [3] .

الزاوية هي مصطلح خاص بالمغاربة ، أما في المشرق تعرف بحنقاه أو تكيه وكلاهما الخط الأعجمي ، ومع أن الزوايا تأسست بهدف تلقين المرينيين القيام بشعائر الصوفية ، فإنها لم تلبث أن تحولت إلى مدارس دينية ، حيث لم تقتصر على تلقين الأوراد ، والتفرغ للخلوة والعبادة ، بل تعدت ذلك إلى تلقين العلوم الإسلامية بكل فروعها ، وقد أقيمت حولها المدارس والأبنية لسكنى الطلبة ، فأصبحت الزاوية تقصد لأخذ التصوف والعلم معا ، كما كانت مقصودة للضيافة وإيواء الغرباء والمسافرين حتى قيل في تعريفها " أنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة " ، حيث ولا زال هذا المعنى مفهوما عندنا بالمغرب ، حيث يفهم من دار الزاوية أنها الدار المقصودة للضيافة ، وإطعام الطعام فيقال مثلا : " دارهم دار الزاوية " . [4]

حيث كان للزوايا دور في المجتمع المغربي، فساهمت الزوايا والمساجد وحتى الربط بدور كبير في الحياة الدينية ، والاجتماعية والحربية ، وذلك في المجتمع

---

[1] نضال مؤيد ، المرجع السابق ، ص 144 .
[2] محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 412 .
[3] محمد علي ابن الصديق ، التصوف المغربي وتاريخه ، مجلة دعوة الحق ، عدد 285 ، السنة 32 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط، المغرب ، ص 68 .
[4] نفسه ، ص ص 68-69 .

المغربي في العصر الإسلامي ، حيث كانت كل من الزوايا والمساجد والربط تقصد لتلاوة القرءان الكريم ، بإضافة كانوا يقرأون كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى وشيء من كتب الوعظ ، حيث لم يكن هناك من ينكر ذلك ، إذ كان الفقهاء يعتبرون هذا العمل من أعمال التعاون على البر والتقوى ووسيلة لتنشيط المتكاسل عن العبادة والذكر [1] .

فقد كان المقصود من بناء الزوايا خاصة في عهد أبي يوسف ، أن تكون بمثابة دور كاستقبال الغرباء والوافدين من الخارج من كبار رجال الدولة وأعيانها ، والغرض الأول من بناءها كما نرى ، لم يكن لغرض صوفي الذي اتجهت إليه فيما بعد ، والظاهر أنها أصبحت مع الأيام المكان المفضل لرجال التصوف وأصحاب الطرق الصوفية ، الذين كانوا ينقطعون إليها للعبادة ، ثم تحولت بعد ذلك لاستقبال المريدين والأتباع الذين يتوافدون لحركة صوفية معينة [2] . وكان بالمغرب منذ عهد المرابطين بل قبلهم ، ربط كانت عبارة عن محتشدات للجهاد ، ونشر الإسلام بين ربوع المغرب الإسلامي ، حيث أن هذه الربط قد ضعفت وذهب شأنها خاصة أيام المرينيين وبدأت تترك مكانتها للزوايا التي أنقطع أغلب أصحابها للجهاد الروحي [3] .

حيث ابتدأ من القرن الثامن للهجرة ، الموافق للرابع عشر ميلادي ، تكاثرت الزوايا في المغرب الإسلامي وخاصة المغرب الأقصى في عهد المرينيين ، وانتشرت في كل الجهات ، وتأسست حول هذه الزوايا مدارس لطلبة العلم ، بحيث لعب أهل الزوايا دورا كبيرا وكان لهم سبق إلى تأسيس هذه المدارس ، وهذا مما أدى المرينيين العناية بزاوية وإقامتها بجانب المراكز العلمية بالمغرب وخاصة القرويين [4] .ويعتبر بعض المؤرخين أن اللحظة الزمنية التي شهدت فيها الزوايا النور ترجع إلى المرينيين الذين ساهموا في دعمها وتقويتها وظهورها [5] .

---

1 كمال السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق ، ص 109 .
2 ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 07 .
3 نفسه ، ص 07 .
4 محمد علي ابن صديق ، المرجع السابق ، ص 69 .
5 محمد ضريف ، مؤسسة الزوايا بالمغرب ، ط1 ، 1992 ، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي ، توزيع مكتبة الأمة ، الدار البيضاء، المغرب، ص 21 .

وكان للزوايا دور كبير في الحفاظ على المقومات الإسلامية ، وكان لها أثر على أخلاق الناس خاصة في العهد المريني ، وكانت تحث الزوايا على تهذيبهم وحملهم على التمسك بجادة في الدين والتعلق بأحكامه وتعاليمه[1] .

ففي ما يخص الزوايا التي بناه السلاطين ، فكانت عديدة وفي مختلف أرجاء مملكتهم ، وذلك لاستقبال الغرباء والمسافرين والموظفين والمتنقلين ، ونظر المرينيون إلى المباني الجنائزية كالأضرحة والمقامات بعين الاهتمام ، فبنوا عليها الزوايا والأربطة وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل ، وذوي الاحتياجات والأيتام وخاصة أيام عاشوراء [2] .

ب/ أهم الزوايا:

1/ **زاوية سيدي حلوي:** كانت بالمغرب الأوسط [3] ، حيث بنى أبو عنان المريني مسجدا لزاوية لهذا القطب [4] .

2/ زاوية تافرطاست: وهي التي دفن بها الأمير عبد الحق، حيث كان قبره فيها ، يطعم فيها أبناء السبيل على الدوام [5] . وقام ببناءها أبو يوسف يعقوب سنة 684هـ / 1285م بالقرب من مكناسة، حيث خصصت لتلاوة القرءان على روح الأمير المريني أبي محمد عبد الحق بن محيو وولده إدريس اللذين قتلا في معركة واجرهان سنة 614هـ/1217م ضد بني عمومتهم بنو عسكر ومناصريهم بنو رياح [6] .

3/ زاوية السلطان أبي الحسن المريني: شيد السلطان أبو الحسن المريني داخل سور مدينة سلا زاوية حسنة التخطيط مكتوب على بابها الغربي الكبير العجيب البناء البديع المثال بخط كوفي رائع بعد الافتتاح بالتعوذ والبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم " أمر بهذا مولانا السلطان الأجل العادل المقدس

---

[1] محمد علي ابن الصديق ، المرجع السابق ، ص 70 .
[2] عبيد فاطيمة، مراكز التعليم في الدولة المرينية ، رسالة ماستر، جامعة سعيدة ،د.طاهر مولاي ، 1434-1435هـ/2013-2014م ، ص ص 48-49 .
[3] عبد الله طويلب ، المرجع السابق ، ص 58 .
[4] محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 355 .
[5] إبن أبي الزرع ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، المصدر السابق ، ص 34 .
[6] عبد الله طويلب ، المرجع السابق ، ص ص 58-59 .

المجاهد أمير المسلمين ناصر الدين أبو الحسن أبن السلطان الأجل الصالح العادل المجاهد المقدس أمير المسلمين ناصر الدين أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق خلد الله ملكهم ، وكان الفراغ منه في آخر ذي الحجة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة " [1] .

حيث ولما صارت مدفنا لأسلافه اهتم بها ودار عليها سور المربع السامي للارتفاع تتخلل مسافته أبراج مربعة على هيئة أسوار المدن الكبرى ، وبني على قبر والده ابي السعيد ضريحا بديع المثال مربع الشكل ، وهو يجاور ضريح جده يوسف المجاور للمسجد العتيق الذي دفن فيه السلطان أبي يعقوب بن عبد الحق [2] .

4/ زاوية النساك: حيث مازالت أطلال زاوية النساك قائمة خارج سور سلا وهي من جملة الزوايا العديدة الجميلة [3] التي بناها أبو عنان المريني [4] في خارج المدن المغربية لتكون بمثابة دور للضيافة ينزل فيها الرحالة والمسافرين على اختلاف طبقاتهم، وزاوية النساك قد تم بناؤها في السابع والعشرين من شعبان سنة 757هـ/1356م ، وكانت تشتمل على حديقة جميلة ، وغرف عديدة [5] كما وصفا ابن الحجاج النميري في كتابه فيض العباب فيقول " فهي من أحسن الزوايا الحسنة ، جميلة ذات ترتيبات فائقة، مزخرفة ، بديعة العنائع ، رقشت ترقيشا باهر الجمال " ولم يصف شيء آخر عنها ، ولم يذكر ما يتعلق بطولها وعرضها وعلوها ومادة بنائها [6] .

وكان للزاوية بابان كبيران أحدهما يتجه نحو مدينة سلا وآخر يتجه نحو مدينة شالة الجبانة المالكية لبني مرين ، وقد تهدمت زاوية النساك عقب حريق شب فيها حيث لا يعرف تاريخه بالضبط [7] .

---

1 محمد عبد المنعم محمد حسن ، المرجع السابق ، ص 68 .
2 عبد الله السويسي ، المرجع السابق ، ص ص 79-80 .
3 محمد عبد المنعم محمد حسين ، المرجع السابق ، ص 68 .
4 عبد العزيز ابن عبد الله ، الزاوية المغربية كمنتدى للفكر ، مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط، المغرب، ص 22 .
5 محمد عبد المنعم محمد حسين ، المرجع السابق ، ص 68 .
6 ابن الحاج النميري ، المصدر السابق ، ص 94 .
7 محمد عبد المنعم محمد حسين ، المرجع السابق ، ص ص 68-69 .

5/ زاوية المتوكلية: قد كان بالمغرب المريني يستعمل كلمة زاوية للدلالة على مؤسسات إحسانية ، حيث كان دورها يقوم على استقبال الواردين عليها لإيوائهم والقيام بضيافتهم ، وحيث يبين هذا ابن مرزوق في كتابه مسند [1] : فيقول " والظاهر أن الزوايا عندنا بالمغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين " [2] .

ووصف ابن حجاج النميري زاوية المتوكلية ، بحيث يرجع بناء الزاوية للسلطان أبي عنان المريني ويقول : "حيث بناها علي غدير الحمص الذي أنسى وادي حمص ، وأطلعها بشاطئه مجموع كمال لا يعرف النقص ، وروضة الأدهان فحصت عن المحاسن فلزمت الفحص " [3] ، ثم صارت تعرف الزاوية المتوكلية بدار الضيفان ، وذلك لما حملته هذه الزاوية من وظائف إحسانية ، ويرجع تأسيسها إلى عام 754هـ/1353م ، حيث قامت على الضفة الشمالية لوادي الجواهر في مواجهة فاس الجديدة . [4]

ووصفها صاحب " فيض العباب " على أنه يعجز اللسان عن وصفها ، حيث أنها أعجوبة المغرب والمشرق ، يقول ابن الحاج النميري أنها " ... منشأ أحاديث الهشيم ، والمعرق مصنع طأطأت له المصانع رؤوسها ، ومبنى استصغرت به المباني الشامخة نفوسها ، قد اختطت في أرض وطئة الأكناف ، متخيرة للمنزل المنيف والروضة الميناف ، فتأسست على أثبت القواعد ، وقامت شامخة المراقي والمصاعد ، راسخة أقدام حيطانها ، ظاهرة بركات استنباطها ، منفسحة الساحة ، متلقية الواردين براحتي الراحة ، مبيضة كأنما أشكالها الصباح الصباح ، صحيحة جسوم البناء لكن تسرى بها من روضها المجاورة الأرواح ، أحسن من الوشى اليماني تنميقا، وأبدع من حلتي الغواني جمعا وتفريقا " [5] . وقد امتدت الزاوية من الجامع إلى قبة صهريج بديع الطول والعرض، ينتصب على حافتيه أسدان مصوران من الصفر ، حيث يقذفان من أفواههما الماء النازل للصهريج وفي كل ركن من أركان الزاوية باب ينفذ إلى دار بديعة البناء متناسبة الأجزاء ، متكاملة

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 67 .
[2] محمد ابن مرزوق التلمساني ، المصدر السابق ، ص 314 .
[3] إن الحجاج النميري ، المصدر السابق، ص 206 .
[4] محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 67.
[5] إبن الحاج النميري ، المصدر السابق ، ص 207 .

المنافع ، إلا الباب الواقع في الشمال الغربي فإنه يشرع إلى دار وضوء مستوفية المرافق ، وللزاوية ديار ثلاثة إحداهما لإمام الصلاة ، والأخرى للقائم بالآذان ، والثالثة للناضر في الأوقاف ، المتصرف في إعداد الطعام وترتيب الناس [1] .

وللزاوية دار معدة لنزول الواردين ، مفتحة أبوابها للوفود القاصدين ، وتقابلها دار أخرى معدة للطبخ و استمجاد العفار والمرخ ، والمرخ هو شجرتان معروفتان .

وللزاوية دارين متصلين بها باب عظيم من جهة الشرق ، ناضر إلى الحضرة العالية التي هي مجمع الخلق وبمقربة منه الصومعة التي كادت تزاحم الكواكب ، وتبلغ السحاب وتدر غيوثها السواكب ، وهي أحسن الصوامع صنائع ، وأعظمها بأشغال الزليج والملون بدائع تفوق بمحاسنها الرائقة الرائعة الديباج، وتنسي بتفافيحها المذهبة السراج الوهاج [2] .

ويتصل بالزاوية من المغرب الشمالي روض أريض مغترس بالأشجار المنتظمة سطورا بديعة الجمال، وكان بغربيها صهريج عميق تتدفق المياه في جنباته ، ثم تنصب على وادي الجواهر دولاب يضاعف كميات الماء ، لينصب في قناة واصلة إلى الزاوية . [3]

6/ زاوية أبي زكرياء الحاجي: تقع زاوية أبي زكرياء الحاجي غربي المسجد الأعظم بسلا [4] ومؤسسها أبي يحي بن أبي عمرو عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى ظهر آخر المائة السابعة هـ [5] ويقال أنه من

آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وشرفه غير ظاهر بين الناس في المغرب، واهتمت زاوية أبي زكرياء الحاجي بالتهذيب والفرائض والحساب [6] .

---

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص ص 67-68 ، أنظر كذلك : ابن الحجاج النميري ، المصدر السابق، ص ص 207-208.

[2] ابن الحاج النميري ، المرجع السابق ، ص ص 208-209 . وانظر أيضا : محمد المنوني المرجع السابق ، ص 68 .

[3] محمد المنوني ، نفس المرجع ، ص 68 .

[4] محمد عبد المنعم محمد حسين ، المرجع السابق ، ص 69 .

[5] محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 410 .

[6] ابن قنفد القسنطيني ، المصدر السابق ، ص ص 64-65 .

المبحث الثالث: الرحالات التصوفية .

أ/ دوافع الرحلات:

سيادة الناحية الروحية، بحيث أنتشر التصوف ، وكثر الزهد، وتنوعت وتعددت الطرق الصوفية، وهذا الأمر لابد أن يكون له اثر كبير على الحياة الاجتماعية للناس، بحيث اهتمامات وتوجهاتهم ونظرتهم إلى حياة الناس ، وكذا تصورهم للسعادة الحقيقية، وكذا الهدف الذي يجب السعي إليه ، ولم يمل إلى هذا المنحنى بسطاء الناس وعامتهم، ولكن لبس الرقعة والتصوف عدد كبير من الفضلاء على حد تعبير ابن القنفذ ، وقد حضر معهم اجتماعا بدكالة سنة 769هـ ، ومن هنا تصوف كبار العلماء وعليه المثقفين والفقهاء، فهذا ابن رضوان المالقي المقيم بفاس يصفه تلميذه يحيى السراج بأنه كان

" محبا لأهل الدين معظما لهم ولمن ينتسب للصوفية قرب الذم ، لم أر في طريقته مثله " [1] .

وكذا كانت الرحلة المغربية تتسم بسمة دينية نلتمسها في كل فصل من فصولها ، ولدى كل مناسبة أو حادثة وعند كل مؤلفيها ، حيث لا يستغرب القارئ لهذه الرحلات لأن هذه الرحلات كانت بدوافع و جاءت من صميم البيئة المغربية ، الذي تشبعوا بتربية إسلامية متينة ، كما تشبعت بيئتهم بها وكانت هذه الروح الدينية مسيطرة على العقول والسلوك الفردي والجماعي للمجتمع المغربي ، حيث سجلت هذه الرحلات في طياتها عبارات دينية كثيرة وآيات قرآنية وأحاديث نبوية وألفاظ إسلامية التي كانت في سياق الكلام في رحلات، وكانوا يقصدونها مؤلفوا

[1] الحسن الشاهدي ، أدب الرحلة في المغرب في العصر المريني، ج1، منشورات عكاظ ، الرباط ، المغرب ، ص ص 65-66 .

الرحلات قصدا حامدين الله تعالى في كل وقت ومصلين على النبي صلى الله عليه وسلم ، أما السلوك الذي كان في الرحلات كان يكتسي صبغة عملية كتلاوة القرآن ، أو القيام بالصلاة والصيام ، وكل هذه الأفعال تدخل في دائرة التقوى والعبادة عند مؤلفيها [1]

ففي أنس الفقير كثير من الأخبار للعلماء الزاهدين في الحياة، والمتفانين في العبادة ، وحتى هؤلاء العلماء المشتغلين بالعلوم الطبيعية والتجريبية والعقلية [2] ومن مثل هؤلاء العلماء نجد ابن البناء العددي المراكشي حيث كان يهتم بالمسائل العلمية ، وكذا عبد الرحمان الهزميري حيث الملاحظ أن التصوف شمل حتى العلماء ولم يختص فئة معينة [3] ، وكذا جمع الملوك والعامة ، وهناك ناحية جوهرية في التصوف لها علاقة بالرحلة أو السياحة الصوفية ، وتعد كذلك سبب من أسباب الرحلة التصوفية ، وهي القضية التي أثارها جواب علماء فاس عن سؤال كيف الوصول التصوف؟ وهل يكتفي الصوفي بالاعتماد على الكتب وحدها ويستقي منها ، أم لابد من الشيخ أن يرحل إليه ويأخذ عن طريقته ، ويوجهه ؟ . حيث كانت هذه التساؤلات محل خلاف بين المتصوفة ، ووصل النقاش إلى درجة الشجار والضرب في الأندلس [4] .

حيث أن كل هذه التساؤلات أدت ودفعت في بحث المتصوفة والرحلة من أجل الأخذ عن الشيخ الطريقة ، وتعلم تلك الطريقة ، وهذا مما جعل الرحلة ضرورية ودائمة ومنها تكثر في التراجم المتصوفة عبارات تفيد على الرحلة المستمرة مثل سياح في الأرض ، صاحب الشيخ في رحلته وكذا ارحل طلبا للحقيقة وغيرها [5] .

فازدهرت الرحلة في عصر بني مرين وتطورت ، واختلفت باختلاف مؤلفيها وتنوعت، حيث انطبعت في هذه الرحلات بطابع سلوكهم وأذواقهم وميولاتهم ،

---

[1] محمد ابن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص ص 176-177 .
[2] الحسن الشاهدي ، المرجع السابق ، ص 66 .
[3] ابن القنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص ص 66-67 .
[4] الحسن الشاهدي ، المرجع السابق ، ص 66 . وانظر : عبد الرحمان ابن خلدون ، شفاء السائل وتهذيب المسائل ، المصدر السابق ، ص 09 .
[5] الحسن الشاهدي ، المرجع السابق ، ص 66 .

واتضحت معالمها الكبرى واستقرت ، فكانت لها أهداف رئيسية تستجيب لها وكانت من بينها العقيدة الدينية التي عرف بها المرينيون [1] .

ب/ أبرز الرحلات التصوفية:

1- رحلة ابن بطوطة :

- ترجمـــته:

هو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد ابن إبراهيم عبد الرحمان ابن يوسف اللواتي الطنجي [2] الملقب بشمس الدين ابن بطوطة ، ولد بطنجة يوم الإثنين سابع عشر من رجب سنة 703هـ [3] كانت عائلته ميسورة الحال ، وكانت أسرته أسرة قضاء وفقه بالمغرب والأندلس ، وكان قد حفظ القرآن الكريم ، وجانبا من علوم الدين ، ودرس علوم اللغة العربية على يد أبيه ، وكان أمل أهله فيه أن يكون واحدا من الفقهاء والقضاة [4] .

والواضح أن رغبته في الجولات والرحلة أعجلته في اتمام دراسته ، وهو يشبه في هذا الشريف الإدريسي الذي ولد في سبتة المجاورة لطنجة ، فهو الآخر لم ينتظر حتى يكمل دراسته في بلده ، بل خرج للرحلة وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وكلاهما أكمل دراسته على الطريق ، حيث كان الكثير من طلبة العلم يفعلون ذلك ، ولم يخرج ابن بطوطة للدراسة على الشيوخ بعينهم [5] ، وأخذ ابن بطوطة في رحلته يتقلب في بلاد مصر الشام والعراق، عراق العجم ، واليمن والهند ، ثم ساح في الأقطار الصينية و التاتارية وأوساط إفرقيا ، أي بلاد السودان والأندلس ، وحج عام 726هـ ، ثم انقلب إلى المغرب وفيه أخذ يملي على ابن جزي رحلته التي سماها " تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " [6] . وانتهت

---

1 ابن الحاج النميري ، المصدر السابق ، ص 9 .
2 الحسن الشاهدي ، المرجع السابق ، ص 249 .
3 العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، راجعه : عبد الوهاب إبن منصور ، ج 7 ، ط2 ، 1999 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ص5 .
4 سليمان فياض ، ابن بطوطة رحالة الإسلام ، ط 2، 1991م ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ، ص 3 .
5 حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته ، دار المعارف ، القاهرة، 1980 ، ص 17 .
6 العباس ابن إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 5 .

رحلته بوصوله إلى فاس عاصمة السلطان أبي عنان المريني في أواخر ذي الحجة عام 754ه [1] .

رحلته: لقد أعطى ابن بطوطة المثال لنفسه عن الحياة الصوفية ، حيث أورد في رحلته ما يغني عن كل شرحات، حيث يتبين هذا من سلوكه من مثال أخلاقه الفاضلة والعفة والرزانة وحسن المعاملة ، حيث كان كلما نزل في رحلته بمدينة قصد مساجدها ليصلي فيه ويذكر كتاب الله، ويقصد أولياءها وصلحاءها وزهادها ، وكان يتبرك من بركاتهم و ينتفع بوعظهم [2] .حيث على طول رحلة ابن بطوطة نلاحظ اهتمامه الشديد بلقاء الشيوخ وأولياء المتصوفة والزهاد وأصحاب الكرامات ، وهذا ظاهر عندما كان يتخلف عن الركب لزيارة عابد وزاهد منفردا بنفسه في مكان بعيد،ليسأله الدعاء والبركة حيث كان ابن بطوطة يؤمن إيمانا شديدا بِأولئك الأولياء ، ويعطينا الأدلة على صدق ولايتهم ، واستجابة الله سبحانه وتعالى لشفاعتهم ، وكان ابن بطوطة في وقت من الأوقات على وشك أن يترك الرحلة ، وينقطع لخدمة واحد من أولئك الأولياء ، ولكن حب الرحلة غلب عليه ، فترك الفكرة [3] . وعندما رحل ابن بطوطة إلى مصر وبالضبط إلى الإسكندرية ، سعا للقاء الأولياء بها ، لينال بركتهم وكان من بينهم الزاهد خليفة، حيث راح ابن بطوطة يتجول في القاهرة ، ويتفرج على زوايا المتصوفة الفقراء المعروفة في مصر بالتكايا، وبات كذلك ابن بطوطة في أحد الزوايا الموجودة في الصعيد وهي زاوية ابن حناء [4]

حيث يحكي أنه في رحلته يقول : " أنه زهد في الدنيا وولى وجهه نحو الآخرة يصوم خمسة أيام دون انقطاع ، ويعتكف في المساجد حتى أصبح وهو نازل بدلهي رجلا صوفيا ، اعتزل الناس وخلا بنفسه مدبرا عن الأكل والشرب "، بحيث يتبين في هذا النص السلوك الروحي التصوفي لابن بطوطة [5] ، ويبين لنا كذلك من هذا النص تصوف إبن بطوطة : " عندما وصلنا يقول ابن بطوطة ، في صباح إلى

---

[1] أبو عبد الله إبن محمد بن عبد الله ابن بطوطة ، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تح: محمد عبد المنعم العريان ، ومراجعة :مصطفي القصاص، ط1 ، 1987م ، ج1، ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، لبنان، ص 15 .

[2] محمد أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 177 .

[3] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 26 .

[4] سليمان فياض ، المرجع السابق ، ص ص ص 8-9-10 .

[5] محمد أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق، ص 177 .

البلد الأمين مكة المكرمة شرفها الله تعالى ، فوفدنا منها على حرم الله تعالى ، ودخلنا البيت الشريف الذي كان من دخله آمنا ، من باب بني شيبة وشاهدنا الكعبة الشريفة ، زادها الله تعظيما ... " [1] .

فكل هذه الأمثلة تبين لنا السلوك الروحي التصوفي لابن بطوطة في رحلته، حيث نلاحظ هذا من التكرار اللفظي للكلمات والعبارات الدينية التي تدل على تصوفه وحبه للتصوف [2]. فإن التكلم عن رحلة ابن بطوطة تعطينا جانبا هما من جوانب ملامح العصر الذي عاش فيه وهو القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي ، حيث كان هذا العصر (عصر بني مرين) ككل ، كان عصر الأولياء وأصحاب الكرامات والطرق الصوفية وشيوخها [3] .

2- رحلة ابن قنفد القسنطيني:

-ترجمـــته : هو أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن خطيب [4] الخطيب القسنطيني المشهور بابن قنفد ، ولد في عائلة علم وصلاح غالبا بمدينة قسنطينة حوالي سنة 740هـ ، والده وجده من خطبائها [5] ، بدأ دراسته على والده وعلى جده لأمه وعلى شيوخ بلده في قسنطينة ، وكان أبوه أديبا مرموقا مع اتجاه الصوفي كذلك مما جعل ابن قنفد ينشأ في وسط يسوده الاهتمام بالعلوم والأدب والتصوف .

وأخذ ابن قنفد من أساتذته كذلك بفاس كما ذكر هو نفسه الكثيرين منهم في مؤلفاته خصوصا في أنس الفقير ، ومن أشهر هؤلاء الأساتذة الذين أخذ عنهم بفاس وغيرها من مدن المغرب هم :

1/ الإمام أبو العباس أحمد بن القاسم القباب الفاسي المتوفى سنة 778هـ .

2/ ابو عمران موسى العبدوسي الفاسي المتوفى سنة 776هـ ، بحيث يقول ابن القنفذ في أنس الفقير وقال : " لازمته في المدونة والرسالة بفاس ثمان سنين " .

3/ أبو محمد عبد الله الوانغيلي الفاسي المتوفى سنة 779هـ .

---

[1] نفسه ، ص 177 .
[2] نفسه ، ص 177 .
[3] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 26 .
[4] ابن قنفد القسنطيني ، وفيات ، المصدر السابق ، ص 6 .
[5] ابن قنفد القسنطيني ، أنس الفقير وعز الحقير ، الصدر السابق ، ص 3 .

4/ أبو زيد عبد الرحمان بن سليمان اللجائي الفاسي المتوفى سنة 773هـ .

5/ أبو قاسم محمد ابن أحمد بن أحمد الحسني السبتي ، المعروف بالشريف الغرناطي ، المتوفى سنة 760هـ .

6/ محمد ابن أحمد ابن مرزوق التلمساني ، المعروف بابن مرزوق الجد ، المتوفى بالقاهرة سنة 781هـ وهو أحد رجالات العصر المريني ، وكذلك درس ابن قنفد من عدة أساتذة وهم كثيرون [1] .

أقام ابن قنفد 18 عاما بالمغرب 759هـ - 776هـ ، وخلال هذه الحقبة المليئة بالنشاط العلمي، وكذا البعيدة الأثر في توجيهه ، طاف في ربوع المغرب ، ولقي عدد من المتصوفين ، وزار أضرحة الصالحين ، ومن المدن والنواحي التي دخلها :آسفي، سلا ، دكالة، مراكش، أزمور ، وغيرها [2]

رحلتـــــه:

إن من المؤلفات التي تدل على أن ابن قنفد القسنطيني قام برحلته وهو كتاب أنس الفقير حيث وصف به المسالك والطرق وتحدث عن المدن والقرى وهذا ما يفترض أن يكون في هذه الرحلة ، فالباعث تأليف كتاب أنس الفقير هو تقييد بشيء من كلام الشيخ أبي مدين وذكر كرامته وتعرف بأهم شيوخه وتلامذته ، حيث وقف ابن قنفد على الكثير من أضرحة هؤلاء الشيوخ وأصحابها وزيارة الزاوية والرباطات ، والجلوس إلى العديد من العلماء في المدن المغربية للأخذ عنهم والاستفادة منهم [3] بحيث جعل كتابه قريب من الرحلة بل أن جزءا منها يعد فعلا رحلة زيارية صوفية علمية ، وملاحظاته وانطباعاته عن البلدان التي رحل إليها والاجتماعات التي حضرها [4] . فالهدف الصوفي هو توصل إلى متصوفة وأخذ منهم ، وبجانب هذا نجد ابن قنفد أنه زار الكثير من الطوائف الصوفية بالمغرب متعددة وأهم هذه الطوائف هي طائفة الشعيبيون نسبة إلى شعيب أزمور ، والصنهاجيون ، وهي طائفة من بني أمغار ، والمجريون ، وكذا الحجاج ،

---

[1] ابن قنفد القسنطيني ، وفيات ، المصدر السابق ، ص ص ص 8-9-10 .
[2] ابن قنفد القسنطيني ، وفيات ، المصدر السابق ، ص ص 10- 11 .
[3] ابن قنفد القسنطيني ، أنس الفقير وعز الحقير ، المصدر السابق ، ص 1 .
[4] حسين الشاهدي ، أدب الرحلة في المغرب في العصر المريني ، ج 2 ، منشورات عكاظ الرباط ، المغرب ، ص 327 .

والحاجيون ، وكذا الغماتيون نسبة إلى ابي زيد عبد الرحمان الهزميري، حيث أشار ابن قنفد انطلاقا من سياحته داخل المغرب أن السير في بعض الجهات كان مغامرة إذ السفر فيها محفوف بالأخطار والمصائب، حيث بهذا عدل ابن قنفد عن زيارة قبر أبي يعزى لانعدام الأمن ، وانتشار قطاع الطرق [1] .

حيث يقول : " وكان غرضي الوقوف على قبره فبقي بيني وبين موضعه بتاغية جوفي تادلا نصف يوم فعدمت الرفيق لخوف الطريق فرجعت " [2] ، وتحدث كذلك عن الأحوال والظروف الأمنية التي سادت المغرب العربي عامة ، في السنة التي عاد فيها من رحلته المغربية وهي سنة 776هـ بحيث وصف أوضاعها حينئذ بالاضطراب والفوضى وانعدام الأمن [3] .

والتقى ابن قنفد بمجموعة من المتصوفة في بلاد المغرب في عهد المريني ومن بينهم أبو العباس المراكشي المعروف بالشماع التقى به وكذا التقى بأبو زيد عبد الرحمان اللجائي ، والتقى ابن قنفد بأبو عبد الله ابن عباد الرندي ، وصفه ابن قنفد بالخطيب الشهير الصالح كبير ، وهذا كان من خيار تلامذته ابن عاشر ، وله كلام في التصوف ، ومما لاحظ في سلوكه أنه لم يكن متشددا كباقي الزهاد ، فهو لا يرد زيارة السلطان له [4].

أما في مدينة سلا فكان لها الأثر الكبير في تكوين ابن قنفد الصوفي ، حيث التقى فيها بشيوخ لهم شأن في التصوف والزهد، حيث قال الشيخ ابن الخطيب القسنطيني في رحلته حضرت عند الحاج الورع الزاهد أبي العباس أحمد بن عاشر بسلا ، وقد سأله أحد الفقراء عن كرامة الأولياء ، فقال :لا تنقطع الكرامة إلا بالموت [5] ، كما التقى ابن قنفد بدكلة بالشيخ أبي الحسن بن يوسف الصنهاجي فحصل له الفخر العظيم بلقائه ونال بركته ودعائه ، وبآسفي التقى بالشيخ الصالح أبو العباس أحمد ابن يوسف ، والتقى كذلك في صنهاجة أزمور بالشيخ الصالح أبي محمد عبد

---

[1] نفسه، ص ص ص 334-335-336 .
[2] ابن قنفد القسنطيني ، أنس الفقير وعز الحقير ، المصدر السابق ، ص 26 .
[3] حسين الشاهدي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص336 .
[4] حسين الشاهدي ، نفس المرجع ، ج2 ، ص 340 .
[5] أحمد بابا التنبكي ، المصدر السابق ، ص 76 . وانظر أيضا : ابن قنفذ القسنطيني ، أنس الفقير وعز الحقير ، المصدر السابق، ص 7 .

الواحد الصنهاجي [1] ، كما قام ابن قنفد بزيارة الأضرحة والتبرك والحصول على دعواتهم ، فلقد ذكر بأنه رأى من قبور الأولياء الكثير من تونس إلى المغرب الشمس ومنتهى بلد آسفي ، وكانت له طريقته الخاصة في هذه الزيارة تنم عنا يستشعره من بركة ، وهو في حضرة ذلك الولي الذي وقف على قبره [2] .

اهتمت هذه الرحلة لابن قنفد والذي دونها في كتابه " أنس الفقير وعز الحقير " بأنها تطرق فيها للحياة الفكرية والعلمية والصوفية في القرن الثامن أي في عصر بني مرين [3] .

المبحث الرابع: أشهر المتصوفة في العهد المريني

1/ أبو الحسن الشاذلي:

أبو الحسن الشاذلي ، هو قطب كبير و الغوث الشهير شيخ الطريقة الشاذلية وإمامها أبو الحسن سيدي علي ابن عبد الله بن عبد الجبار ، ينتمي نسبه إلى سيدي عمر بن مولاي إدريس المثنى بن مولاي إدريس الأكبر دفين زرهون وفاتح المغرب ، ولد أبو الحسن سنة 571هـ بقبيلة الأخماس الغمارية بفرقة بني زرويل بقرية اشتنواغل ، ولا يزال البيت الذي ولد فيه محفوظا متبركا به إلى الآن ، وفي بلدته نشأ وحفظ القرآن وطلب العلم ، ورحل لفاس وقرأ على كبار علماء وقته [4] ، وقد تلقى الشاذلي دراسته ومعارفه في ظل دولة الموحدين في المغرب وتونس، ومن أشهر شيوخه بالمغرب أبو الحسن ابن حرازم الذي تلقى عليه الشاذلي ، كما أخذ عن عبد السلام بن مشيش الذي أوصاه بالدعاية لحركته في تونس . وفي تونس تلقي الشاذلي علوم الحديث والكلام والفقه وغيرها على عدة من العلماء

---

[1] حسين الشاهدي ، المرجع السابق ، ص 342 .
[2] نفسه ، ص 342 .
[3] نفسه ، ص 345 .
[4] الشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي ، المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، ط4، 2003م، دار الأمان للنشر والتوزيع ودار البشائر الإسلامية، الرباط ، بيروت ، ص 122 .

كأبي السعيد الباجي وأبي محمد المهدوي شيخ الصوفية في تونس، الذي تلقى هو نفسه عن ابن مدين وعبد السلام ابن مشيش [1] .

تزهد وتنسك أبو الحسن وجاهد نفسه وكان صوما ويقيم الليل ، حيث ساح وجال ولزم الخلوة والانقطاع عن الناس [2] ، وعندما أراد أبو الحسن مغادرة شيخه عبد السلام ابن مشيش وأوصاه هذا الأخير بوصايا نافعة [3]

وكان من وصايا ابن مشيش للشاذلي:

1 / الله الله والناس وتنزه لسانك عن ذكرهم، وتنزه قلبك عن التمايل من قلبهم ، وعليك بحفظ الجوارح على الله وأداء الفرائض ، وقد تمت ولاية الله عليك ، ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك وقد تم ورعك ، وقل اللهم ارحمني من ذكرهم، ومن العوارض من قلبهم ، ونجني من شرهم، وأغني عن خيرهم، وتولني بالخصوصية إنك على كل شيء قدير.

2/ أفضل الأعمال أربعة بعد أربعة : محبة الله ، الرضاء بقضاء الله ، والزهد في الدنيا ، والتوكل على الله ، وأما القيام بالأربعة الأخرى القيام بفرائض الله، والاجتناب لمحارم الله ، والصبر على ما لا يعني ، والورع من كل شيء يلهي .

3/ الزم بابا واحدا تفتح لك الأبواب ، واخضع لسيد واحد تخضع لك الأرقاب [4]

2- أبو عبد الله الجزولي :

أبو عبد الله ابن عبد الرحمان الجزولي [5] ، وهو من أهل فاس ، وكان من مقدميهم وممن كان لهم الأقدام ، فتاب وخرج للحج وأقام بالمشرق مدة من أربعين عاما [6] ، ونسب الجزولي إلى سلالة النبي عليه السلام شأن الكثير من الصوفية غيره [7] .
حيث كان الجزولي الشيخ العالم العارف الولي الصالح وكان ذو كرامات ، ولد

---

1 ابراهيم حركات ، الحياة الدينية في عهد بني مرين ، المرجع السابق ، ص 8 .
2 الشيخ عبد الله ابن عبد القادر التليدي ، المرجع السابق ، ص ص 122-123 .
3 نفسه ، ص 123 .
4 ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 8 .
5 نفسه ، ص 9 .
6 أحمد ابن قاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 216-217 .
7 ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 9 .

بجزولة من سوس ، ونشأ بها وقرأ القرآن ثم اشتغل بالعلم ورحل لفاس وبقي به مدة ، وبها لقي العارف سيدي أحمد زروق، وكان علامة على قدم راسخ في فقه مالك ، يقال أنه كان يحفظ المدونة وغيرها من كتب الفقه، ولكنه انصرف عن ذلك كله واشتغل بعبادة الله عز وجل ، وكان إذا تزهد وتنسك وشغف بالصلاة على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وولع بالمداومة عليها ، واعتزل الأصدقاء وعموم الناس ولزم بيته واشتغل بما يهمه [1] وتلقى الإمام الجزولي دراسته بفاس والمشرق، وأخذ الطريقة الشاذلية عن شيوخها بمصر [2] ، وألف كتابه " دلائل الخيرات " الذي كان ذا شهرة وانتشر هذا الكتاب بشكل واسع ،حيث عم دخوله كل البيوت وجميع الطبقات ، وقد جرب الكثير من المسلمين خيره وبركته والانتفاع به في المشارق والمغارب عبر العصور الأجيال ، وشهدوا له من البركة والأنوار ما لا يخطر على بال ، وقد كان المسلمون حريصين على قراءته أفرادا وجماعات في المساجد والبيوت متفانين في الصلاة على الحبيب الأعظم مادحين له ، وضعف المسلمون عن قراءة كتاب " دلائل الخيرات" ذلك عقب انتشار الفكر الوهابية بين الناس والفتن العامة [3] بعد أن ألف الجزولي كتابه اتصل بالعارف محمد ابن عبد الله أمغار فأخذ عنه الطريق ثم دخل الخلوة ومكث فيها أربعة عشر عاما ، ثم خرج للدعوة والإرشاد والتربية، فكون جموعا غفيرة من الصلاح ، حتى أنه اجتمع بين يديه ما يزيد عن أثنا عشر ألفا وستمائة وخمسة وستون وذلك على حسب ما ذكر المهدي الفاسي في " ممتع الأسماع " [4] .

وكانت الطريقة التي يأخذ عليها العهد هي الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم مع الفناء في محبة الله ورسوله ، وزيارة الأولياء ، مع التبري من الحول والقوة ، والاعتماد على الله عز وجل[5] وكان الجزولي قد رحل للديار الشرقية وحج ثم رجع إلى بلاده وأخذ من مدينة أسفي مقرا لسكناه فعاداه أهلها وأنكرو عليه أمورا في الطريق، وابتلي بسبب ذلك فكانت نهايته إخراجه منها ونفيه عنها إجباريا ، ورجع بعد ذلك لبلاده جزولة وبقي بها إلى أن توفي بها رضي الله تعالى

---

1 الشيخ عبد الله ابن عبد القادر التليدي ، المرجع السابق ، ص 143 .
2 ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 9 .
3 الشيخ عبد الله ابن عبد القادر التليدي ، المرجع السابق ، ص 143-144 .
4 نفسه ، ص ص 144-145 .
5 نفسه ، ص 145 .

عنه وذلك سنة 869هـ / 1464م [1] ، أي في السنة نفسها التي سقطت فيها الدولة المرينية [2] ، ثم نقل لمراكش بعد سبعة وسبعين سنة ودفن برياض العروس، وعلى روضته مهابة وجلالة ، و" دلائل الخير " يقرأ عنده طوال الأيام ، وبجانب روضته مسجد تقام فيه الصلوات والناس يقصدون زيارته والتبرك بالسلام عليه والدعاء عنه [3]

3- أبو العباس أحمد ابن عاشر :

نزيل سلا الوالي زاهد المشهور ، كان صاحب الكرامات والمناقب والأحوال الباهرة ، حتى قال ابن عرفة : " ما أدركت مبرزا في زماننا هذا إلا أبا الحسن المنتصر وأحمد ابن عاشر نزيل سلا " [4] كـان ابن عاشر كثير النفور من الناس ، وخصوصا أصحاب الولاية في الأعمال. وخرجت على يده تلامذة صلحاء أخيار وطريقته أنه جعل علوم الدين بين عينيه واتبع ما فيه بجد واجتهاد وصدق وانقياد [5] وحج ابن عاشر ورجع إلى المغرب فدخل مدينة فاس وأقام بها مدة ثم رحل إلى مكناسة الزيتون واستوطنها مدة ، ثم انتقل إلى سلا ، فنزل برباط الفتح بزاوية أبي عبد الله اليابوري ، وكان قوته من نسخ كتاب " العمدة " في الحديث ، وكان يبيعها لمن يبيعها ولا يأخذ إلا قيمتها ، حيث حاول ملك المغرب آن ذاك زيارته فلم يقدر على الوصول إليه [6] حيث كان ذلك في عام 757هـ ، فلم يقدر على ذلك بوجه وحجبه الله عنه حتى تبعه يوم الجمعة في الجامع الأعظم على قدميه لما نعت له والناس ينظرونه وهو لم يره فرجع عنه [7] ثم وجه ابي عنان المريني إليه أحد أولاده مصحوبا بكتاب يطلب منه زيارته فلم يقبل ، وأجابه ابن عاشر برسالة تتضمن حوالي أربع صفحات منها قوله : " الحمد لله ، من العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد ابن عمرو بن محمد ابن عاشر وفقه الله تعالى إلى أمير المؤمنين أبي عنان أيده الله تعالى بتقواه ... ، فقد ورد علي كتابكم المشرف بذكر الله تعالى

---

1 نفسه ، ص 145 .
2 ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 9 .
3 الشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي ، المرجع السابق ، ص 145 .
4 أحمد بابا التنبكي ، المصدر السابق ، ص 96 .
5 ابن قنفد القسنطيني ة، أنس الفقير وعز الحقير ، المصدر السابق ، ص 9 .
6 احمد بن القاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 153 .
7 ابن قنفد القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 9 . وانظر : حميد عبد المنعم محمد حسين ، المرجع السابق، ص 82 .

وولدكم المكرم جعله الله تعالى من المتقين ، وأنبته نباتا حسنا ، وعلمه علما نافعا ، ولا يجعل له من المبعدين من رحمة رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم ، ولتعلم أنني ما شككت فيكم ، وقد أيقنت أنكم ما أرسلتموه إلا من أجل الله عز وجل ، وطلب مرضاته ...

وبعد ، فإني لم أكن للزيارة أهل ولا للغرابة محلا وإنما سترني الكريم بفضله ولطف بي بحلمه ولله الحمد على نعمته الظاهرة الباطنة " .

ثم يورد بعد هذا نصائح لأبي عنان ويتمثل بآيات وأحاديث ومن نصائحه :

" وليعلم أمير المؤمنين أنه لا يخلصه أحد من خدامه وحاشيته ، بل يفرون منه يوم القيامة ويفر منهم ولا عليك في هذا الأمر إلا أن تراقب الله تعالى وأنت مقبل على الله عز وجل " [1] .

وقل الشيخ ابن صعد في النجم الثاقب :" كان أحد الأولياء الأبدال معدودا في كبار العلماء مشهورا بإجابة الدعاء ، معروفا بالكرامات ، مقدما في صدر الزهاد ، منقطعا عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من صالحي العباد ، ملازما للقبور في الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا ، مفردا عن الخلق لا يفكر في أمر رزق ، له أخبار جليلة ، وكرامات عجيبة ومشهورة " .

وذكر العلامة أبو عبد الله بن خطيب السلماني في " نفاضة الجراب " فقال : " ولقيت من أولياء الله بسلا الولي الزاهد الكبير المنقطع العزيز فرارا عن الزهوة الدنيا وهربا عنها وأفقا في الورع وشهرة بالكشف وإجابة الدعوة وظهور الكرامة ، أبو العباس ابن عاشر ، يسر الله لقاءه علي تعذره لصعوبة تأتيه وكثرة هيبته ، قاعدا بين القبور في الخلاء ، رث الهيئة مطرق اللحظ كثير الصمت، مفرط الانقباض والعزلة ، وقد فر من أهل الدنيا وتطارحهم ، فهو شديد الاشمئزاز من قاصده ، مجد الوثبة من طارقه " [2] .

ومن أكبر تلامذته العارف ابن عباد شارح " الحكم العطائية " ، وقد قال عنه في رسائله : " كنت قديما خرجت يوم مولده صلى الله عليه وسلم صائما إلى ساحل

[1] ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 10 .
[2] أحمد بابا التنبكي ، المرجع السابق ، ص ص 96-97 .

البحر فوجدت هناك السيد الحاج أبن عاشر رحمه الله تعالى وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلونه ، فأرادوا مني الأكل فقلت إني صائم ، فنظر إلي السيد الحاج ابن عاشر نظرة منكرة ، وقال لي : هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم كالعيد فتأملت مقالته فوجدته حقا وكأنه أيقظني من النوم ... الخ " [1] .

وقصده يوما أسير من المسلمين فنظر إليه ثم أخرج له سكين البقل لكونه لم يكن عنده ما يدفعه إليه من مال فباعها الأسير بالمزايدة في السوق بسعة عشر دينارا ذهبا .

توفي ابن العاشر في رجب سنة 765هـ ، ودفن بسلا تجاه برج الدموع من ناحيته الجوفية وقبره يعد مزارا ، والدعاء عنده مستجاب [2] .

وقال المقري في كتابه فح الطيب : " وقبره بسلا محط رجاء الطالبين ، وكعبة قصد الراغبين ، تلوح عليه أنوار العناية ، وتستمد منه أنوار الهداية ، وهو على ساحل البحر محيط بخارج مدينة سلا المحروسة ، وقد زرته ولله الحمد عند توجهي إلى حضرة مراكش سنة ألف وتسع ، والناس يشدون الرحال إله من أقطار المغرب ... " [3] .

4- محمد ابن عباد الرندي :

كان يعيش أيام دولة المرينيين في القرن الثامن الهجري من الأولياء الكبار إمام شيخ أهل عصره وسيدهم محمد ابن إبراهيم بن عباد الرندي المشهور بابن عباد الفقيه الصوفي الزاهد العارف شارح الحكم العطائية ، ولد برندة ببلاد الأندلس وبها نشأ [4]

هو من أهل فاس ، انتفع به خلق كثير [5] وقال أحمد ابن مرزوق : " مولده سنة ثلاثة وستون وسبعمائة ، جمع القرآن وهو ابن سبعة سنين ، ثم رحل لفاس

[1] الشيخ عبد الله ابن عبد القادر التليدي ، المرجع السابق ، ص ص 137-138 .
[2] احمد ابن قاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ج 1، ص 153 .
[3] احمد مقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المصدر السابق ، ص ص 354-355 .
[4] الشيخ عبد الله ابن عبد القادر التليدي ، المرجع السابق ، ص 140 .
[5] أحمد ابن القاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 228 .

وتلمسان وقرأ بهما الفقه والعربية والأصول ، ثم عاد فصحب بمدينة سلا أفضل أهل زمانه علما وعبادة ، وهو ابن العاشر [1] .

وقال ابن قنفد القسنطيني : " ورأيت منهم بفاس الخطيب المشهور الصالح الكبير أبا عبد الله محمد ابن عباد الرندي ، وكان والده من الخطباء الفصحاء النجباء ، ولأبي عبد الله هذا عقل وسكون وزهد بالصلاح مقرون ، وكان يحضر معنا في مجلس شيخنا الفقيه أبي عمران موسى العبدوسي ، رحمه الله ، وهو من كبار أصحاب ابن عاشر – رحمه الله – ومن خيار تلامذته ، وله كلام عجيب في التصوف وصنف فيه ما هو الآن يقرأ على الناس من كتب التذكير وله في ذلك قلم انفرد به ... " [2] . وقال فيه صاحبه الشيخ أبو زكريا السراج في " فهرسته " : " شيخنا الفقيه الخطيب البليغ الخاشع الإمام العالم المنصف السالك العارف الرباني المحقق ذو العلوم الباهرة والمحاسن المتظاهرة .... قال : كان حسن السمت طويل الصمت كثير الحياء والوقار متواضعا معظما عند الخاصة والعامة ، أخذ في التصوف والبحث عن الأسرار الإلهية حتى أشير إليه وتكلم في علم الأحوال والمقامات والعلل والآفات قال : ... كان الشيخ ابن عاشر يشيد بذكره ويقدمه على أصحابه ويأمرهم بالأخذ عنه والتسليم له ... "

ومن شيوخه العلامة المجتهد أبو عبد الله الشريف التلمساني صاحب " مفتاح الوصول " والشيخ أبو مهدي المصمودي والشيخ الصالح أبو محمد الفشتالي وغيرهم، وله رسائل كبرى وصغرى في التوحيد والتصوف السلوك وغير ذلك، فقد طبعت الكبرى منها في صفر أما شرحه على الحكم فمما سارت به الركبان ،

[1] الشيخ عبد الله ابن عبد القادر التليدي، المرجع السابق ، ص 140 .
[2] ابن قنفد القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 79 .

شهرته كانت كبير تغني عن التعريف والإشادة به ، حيث كان لا يستغني عنه مريد ولا سالك نظرا لشهرته [1] .

ومن كلام ابن عباد الرندي :

" الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس وفتح باب الأنس بالله تعالى الاستحياش من الناس " كما قال أيضا: " من لازم الكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له الطريق الغيوب الملكونية ولا خلص بسره إلى فضاء مشاهدة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته " [2] توجه مع أبي الحسن المريني لإفريقية فمات سنة 746هـ [3] ، وله تأليف حسن أبان عن فضله ومقدار تصرفه ، شرح فيه تفريغ ابن الجلاب [4]

5- أحمد زروق:

من مشاهير الصوفية الكبار الذين كانوا في عصر المرينيين أحمد ابن أحمد ابن محمد ابن عيسى البرنوسي الفاسي الشهير بزروق ، الإمام العارف الفقيه المحدث الصوفي المتضلع المتبحر الوالي الصالح العارف بالله [5] ، وهو صاحب تأليف حسنة في الفقه والتصوف وغير ذلك أخذ بمدينة فاس عن الإمام محمد القوري ، وعن جماعة حسب ما جاء في فهرسته ، والبرنسي نسبة إلى البرنس قبيلة من البربر بين مدينة فاس وتازة [6] ، ولد أحمد زروق بفاس سنة 846هـ [7] وكان قد توغل في التصوف وصحب جماعة من المشايخ وسلك الطريق وتزهد وتنسك وسلك سبيل المجاهدة والرياضة وانقطع لخدمة العارف ابن عبد الله سيدي محمد الزيتوني ، ثم تركه لحادث حصل بينهما[8] ، من شيوخه بالمغرب أبو محمد العبدوسي، وأبو عبد الله محمد القوري ، وأبو سالم إبراهيم التازي ... وغيرهم ، أما شيوخه المشارقة فمن أهمهم ، محمد السخاوي ، أبو عمرو عثمان المصري ،

---

1 الشيخ عبد الله ابن عبد القادرالتليدي ، المرجع السابق ، ص 141 .
2 محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 358 .
3 أحمد بابا التنبكي ، المصدر السابق ، ص 403 .
4 أحمد ابن القاضي المكناسي ، المصدر السابق، ج 1 ، ص 228 .
5 الشيخ عبد الله بن عبد القادر ، المرجع السابق ، ص 147 .
6 أحمد ابن قاضي المكناسي، المصدر السابق، ج1، ص 129 .
7 الحسن الشاهدي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 348 .
8 الشيخ عبد الله ابن عبد القادر التليدي ، المرجع السابق ، ص 148 .

نور الدين عارف السنهوري ، شمس الدين الجرجي ، واحمد الخضرمي ... وغيرهم [1] توفي سنة 899 هـ بأزلتين من قرب طرابلس الغرب بين تاجورا وقصر أحمد ، وقبره هنالك مزار [2] .

وكذا عرف عصر بني مرين عدة متصوفين ، بحيث حسم بعض المتصوفة الكثير من المسائل التي دار حولها الخلاف بين العلماء في فاس وذلك في عصر بني مرين ، وهذا ما رواه صاحب سلوة الأنفاس من أن جدلا عظيما دار في فاس واستمر ثلاثة أيام بين العلماء حول الحوض والصراط أيهما أسبق فلما سئل في ذلك متصوف ابو زيد الهزميري : " فنظر إلى السماء واتسعت عيناه اتساعا عظيما ، ثم قال الجنة الميزان الحوض الصراط ويشير بإصبعه إلى السماء " .

وخرج السائل من عنده إلى مجلس العلماء ، فإذا المجلس في حالة من الخلاف حول نفس المسألة ، فأخبرهم السائل بما قاله الهزميري ، فبكى أبو عبد الله البقوري وقال : " ليس الخبر كالعيان " [3] والمغزى أن الهزميري كان هو شيخ طائفة الغماتيون، وهو أبي زيد عبد الرحمان الهزميري وكان من تلامذته أبو العباس أحمد ابن محمد ابن عثمان ابن البناء العددي المراكشي، وكذا ابن الشاطر [4] وتوفي شيخ الأولياء أبو زيد الهزميري بفاس 707 هـ [5] .

حيث كان يوجد في العهد المريني كذلك المتصوف أبو العباس أحمد ابن المطارحي دفين سلا والمتوفي عام 726 هـ / 1325-1326م ، قال عنه ابن القاضي : " وكان حسن الفقه مليح المنزع ، مسمتا وقورا ، يورد حكايات الصالحين مليح المجلس ، تحس الرحمة عند لقائه ، من المتعبدين الزهاد لازم سكنى سلا أخر عمره ... وكان كثير المطالعة للكتب وخصوصا كتب التصوف والحديث وكان يحفظ حلية الأولياء لأبي نعيم الحافظ " [6] .

---

1 الحسن الشاهدي ، المرجع السابق ، ص 349 .
2 أحمد ابن قاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 131 .
3 محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 357 .
4 ابن قنفد القسنطيني ، أنس الفقير وعز الحقير ، المصدر السابق ، ص 66 .
5 ابن قنفد القسنطيني ، الوفيات ، المصدر السابق ، ص 341 .
6 محمد المنوني ، ورقات عن تاريخ المرينيين ، المرجع السابق ، ص 443 .

ومن متصوفة العهد المريني أبو يعقوب البادسي المتوفي عام 734هـ /1333-1334م ، ويصفه ابن خلدون بكبير الأولياء بالمغرب ، وهو ينتسب إلى مدرسة أبي مدين [1] وكذا محمد ابن موسى الحلفاوي الإشبيلي من مدجني إشبيلية نزل مدينة فاس وكان له إذن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حسم به أدواء الفساد وقمع الأشرار عن بغيهم المعتاد ، وله مع أبي عنان حكايات مشهورة ، أخذ التصوف عن يعقوب الزيات من أهل فاس ، وكان ممن قدم في الطريقة ، وكان صاحب صدقات ومكاشفات و حافظا للقرآن والكثير من الحديث [2] ، تربى على يد الحلفاوي بعض التلاميذ ، ومنهم علي اللجائي [3] توفي بفاس سنة 758هـ /1357م [4].

ومن المتصوفة في العهد المريني يحيى ابن سراج المتوفى سنة 805هـ/1402م ، والذي كان صاحب الرياسة في الحديث في عهده ، وكان أحمد ابن سعيد الشهير بالحباك [5] ، خطيب جامع القرويين بعد العبدوسي كان فقيها متصوفا شاعرا فصيحا ظريفا ، نظم مسائل ابن جماعة في البيوع وقال شعرا نفيسا في التصوف . وقال ابن غازي في فهرسته : " كان من آيات الله في النبل والإدراك مع الحفظ الوافر من الأدب وله ذوق في التصوف ... " ، وتوفي في حدود 870هـ [6].

وكان من زهاد المغرب في العهد المريني عبد الله ابن عبد الحق السوسي أبو محمد ، وهم من شيوخ الصالحين رحل إلى المشرق وسكن بمكة إلى أن توفي سنة 693هـ / 1295م [7] .

وكان منهم كذلك أبو علي ابن أبي صالح عبد الحليم [8] جاء إلى مدينة نفيس ، وهو رجل صالح من أهل الكفاف والابتعاد عن أهل الدنيا [9] ، والمتصوف محمد ابن

---

1 نفسه، ص 413 .
2 أحمد ابن قاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ج 1، ص 305.
3 محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 414 .
4 أحمد ابن قاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ج 1، ص 305.
5 محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 357 .
6 أحمد بابا التنبكي ، المصدر السابق، ص 125 .
7 نضال مؤيد ، المرجع السابق ، ص 144 .
8 مؤلف مجهول ، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية ، ط1 ، 2005 ، دار أبي رقراق للطبعة والنشر ، الرباط ، ص 47 .
9 نضال مؤيد ، المرجع السابق ، ص 145.

عبد الرحمان بن أحمد الصنهاجي أبو عبد الله عرف بابن الحداد ، ولد بفاس 641هـ / 1241م لزم التصوف وكان يميل إلى الطريقة المتصوفين في لباسه وفي عبادته ، خرج من مكناس بسبب خطبة خطبها قال فيها : " الحمد لله الذي خلق الإنسان على صورته وذكر اسم الله الرحمان الرحيم " [1] .

المبحث الخامس : سلاطين المرينيين والتصوف .

إن العصر المريني كان من أزهى العصور الفكرية في المغرب الإسلامي ، وذلك راجع إلى اعتناء ملوكهم بتشجيع العلماء والمفكرين ، فكان على المثقفون العمل على ضرورة الاهتمام بالثقافة الإسلامية من أجل إثبات وجودهم أمام التيارات الجارفة التي كانت تعمل من أجل إطفاء جذور الحضارة الإسلامية بالمغرب والأندلس ، فقد ظهر في هذه الفترة طائفة من العلماء الذين شاركوا في الميدان الثقافي والاجتماعي ، بحيث خلفوا إنتاجات حملت صبغة أدبية اجتماعية صوفية وكل هذه الإنتاجات كانت من تشجيع من سلاطين بنو مرين [2] .

وإن الصوفية وتعظيم الأولياء هو سلوك عرفه التدين عند البربر ، حيث كان امتداد لها وذلك ابتداء من نهاية العصر الوسطى ، وكان تعظيم أولياء من الصوفية يمثل جميع طبقات المجتمع حيث لم يهرب من سيطرتها أحد، ولا رؤساء، ولا سلاطين، ولا شعب ، ولا أي طبقة من طبقات المجتمع ولا أي جزء من أجزاء بلاد البربر [3] .

---

[1] احمد ابن قاضي المكناسي ، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق : د/ محمد الأحمدي أبو النور ، ج2، ط1، 1971م ، المكتبة العتيقة، ودار الثرات، تونس، القاهرة ، ص 108.

[2] محمد ابن عبد العزيز دباغ ، من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني ، ط1، 1992، مكتبة الأمة، رباط الفتح، ص 3 .

[3] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة :عن الفرنسية محمود عبد الصمد هيكل ، راجعه واستخرج النصوص د/ مصطفي أبو ضيف أحمد، توزيع منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص 334 .

ولقد تميز سلاطين بنو مرين بنوع من التقوى والورع ، حيث كانت الدولة المرينية هي حاملة راية الحضارة الإسلامية من بعد الموحدين ، ونذكر من بين سلاطين بنو مرين الذين تميزوا بالورع والتصوف الأمير عبد الحق بن الأمير محيو ، حيث كان الأمير عبد الحق مشهور في قبائل بني مرين بالتقا والفضل والدين وصلاح الأعمال والبركة واليقين، حيث كان معروفا عندهم بالورع والعفاف ، وكان الأمير عبد الحق يتصف بالعدل والإنصاف ، يطعم الطعام ويكفل الأيتام ويؤثر على نفسه المساكين [1] .

وكانت لهذا الأمير بركة معروفة ودعاء مستجاب ، فكان الناس يتبركون بسراويله وغيرها، حيث كانت تحمل إليه الحوامل اللواتي صعب عليهن الوضع فتهون عليهن الولادة ببركته ، وكان بقية مائة يحمله الناس تبركا به ، فكانوا ينشرون به مرضاهم ، حيث كان الأمير عبد الحق من أهل الفضل والدين كان صوما ، كثير الذكر والتسبيح والأوراد والأذكار ، لا يكاد يفتر عن الذكر على أية حال كان [2]وكان الأمير عبد الحق محبا للصالحين وكذا العلماء، حيث كان إذا رجع من الدعاء ضم أطراف برنسه وجاء به إلى البيت وجمع أولاده ونفض عليهم البرنس وهو يقول: هذا حظكم من دعاء الصالحين. وكان شديد المحبة للعلماء والصلحاء، خائفا منهم، متواضعا لأهل العلم والدين، وكان مع ذلك سماة عدائه قاهرا لهم، غالبا من ناوأه، وما وجدنا إلا بركته وبركة من دعا له من الصالحين، فهذه صفات الأمير المريني الذي امتاز بحبه لأهل الصلاح وكدا كان مقرب لهم وكان ينتفع من دعائهم له[3]، وكذا كان من أمراء بني مرين الذين اتسموا بالتقوى والصدق الأمير عثمان بن عبد الحق[4]، فكان هذا الأمير معظما للعلماء موقرا للصالحين حيث كان يتواضع بين أيديهم ويخضع ويستوهب منهم الدعاء ويخشع، كان الأمير عثمان يقرب الصلحاء له وذلك بغية الدعاء له[5].

1 ابن أبي الزرع ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، المصدر السابق، ص 30

2 نفسه، ص 30 . وانظر : إسماعيل بن الأحمر ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، المصدر السابق، ص 15 .

3 أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص 8 ، وانظر : إبن أبي الزرع، المصدر السابق، ص31.

4 أبي عبد الله بن الخطيب السلماني ، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية ، تونس ، 1216هـ ، ص76.

5 ابن أبي الزرع ، المصدر السابق ، ص37.

كما كان السلطان أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق الذي يكنى أبا يوسف مكرما للصلحاء كثير الرقة والحنان على الضعفاء والمساكين[1]، حيث كان يحب العباد والأخيار وكان يتقي الله وكان يخشى الحرام[2]، وكان متواضعا لأهل الدين[3]كما بنى هذا السلطان الزوايا في الفلوت وأوقف لها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات[4]، وكان الأمير يعقوب بن عبد الحق مكرما للصلحاء حيث كان يأخذ في الكثير من الأمور برأيهم[5]، كما أمر كذلك ببناء زاوية بتافرطاست التي كان يتلى فيها القرآن الكريم[6]. كما كان من سلاطين بني مرين الذين اتسموا بتشجيع أولياء الله الصالحين هو أبو الحسن المريني الذي كان يتصف بمحبته للصالحين[7]، حيث كان أبو الحسن يحب ملاقات أولياء الله الصالحين، بحيث لقي الشيخ أبو زيد عبد الرحمان الجزولي وذلك بواد سبو حين قدم تلمسان بعد استفتاحها، حيث رمى أبو الحسن المريني نفسه على الأرض واحتضنه وعانقه، ثم تولى بنفسه جمله على موكبه[8].

كما كان لأبي الحسن المريني قصة مع أبي محمد عبد العزيز القروي، حيث قال السلطان أبو حسن لعبد العزيز القروي:" تخرج مع عامل الزكاة "، فقال له عبد العزيز:" أما تستحي من الله تعالى تأخذ لقبا من ألقاب الشريعة وتضعه على مغرم من المغارم ". فضربه السلطان بالسكين التي يحبسها عادة في يده، وهي في غمدها وضربه بها جملة وقال:" هكذا تقول لي؟"، وبعدها قام السلطان إلى دره وما جلس إلا وقد اشتد وجع يده التي ضربه بها ثم خرج وقال:"ردوه إلي"، فردوه فاعتذر إليه وقال له " طيب نفسك علي فإني علمت أنك ما قلت لي إلا الحق ! " ، فقال : " الله يغفر لي ولك " . وانصرف وكان السلطان أبو حسن المريني بعد هذا المجلس يزوره بداره ، وهذا ما يدل على أن أبو حسن المريني كان يحب ويقرب إليه أولياء الله الصالحين ذو الكرامات [9]

---

[1] إسماعيل بن الأحمر ، المصدر السابق ، ص19.
[2] أبي عبد الله السلماني ، المصدر السابق ، ص77.
[3] ابن أبي الزرع ، المصدر السابق ، ص86.
[4] نفسه ، ص91.
[5] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص65.
[6] نفسه ، ص64.
[7] إسماعيل بن الأحمر ، المصدر السابق ،ص25.
[8] محمد ابن مرزوق التلمساني ، المصدر السابق ،ص155.
[9] ابن قنفد القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير ، المصدر السابق ، ص 24 .

كما دخل على السلطان أبي الحسن الشيخ عبد الهادي وكان أبو الحسن المريني يحب الاجتماع بالصلحاء وذلك ما كان معه هو وأبي عبد الله الكومي الضرير المراكشي ، الذي كان من أولياء الله بلا منازع ومن أصحاب التصوفات والمقامات ، بحيث كان يسعى أبي الحسن المريني أن يجتمع بهذا الصالح ، فقد أرسل إليه ابن مرزوق والفقيه أبو علي ابن تدرارت فدخلوا على هذا الصالح واشترط عليهم شروطا ثلاثة لمقابلة أبي الحسن المريني ، فقال لهم هذا الصالح : " الفقراء أحق بالوصول إليه ، ولكن على شروط ثلاثة ، أحدهما أن يكون هذا اللقاء أولا وآخرا ولا ثاني له ، الثاني أن لا يعرض علي شيئا من متاع الدنيا ، الثالث أن لا يعرض على أولادي ما يخرجون به عن مذهبي " فقبل السلطان أبي الحسن المريني هذه الشروط والتقى بأبي عبد الله الكومي ، وكان قد سمع أبو الحسن منه مواعظه ونصائحه المفيدة ، حيث كان هذا الصالح آية من العجب فيما يبدوا عليه التصوف [1] .

- صار سلاطين بني مرين قريبين من كبار أقطاب التصوف أحيائا وأمواتا ، حيث بنى أبو الحسن المريني مسجد العباد بالقرب من قبر قطب التصوف أبي مدين شعيب، وكان هذا المسجد آية من آيات الفن المعماري في العصر المريني [2] .

وكان كثير من سلاطين بني مرين يترددون على متابعة زيارة قبور هؤلاء المتصوفة وتبرك بهم وإظهار الاهتمام بهم، فكان أبو الحسن المريني يزور قبر أبي مدين شعيب في يوم الأربعاء من كل أسبوع ، كما كان السلطان أبو العباس أحمد ابن أبي سالم حضر جنازة الصوفي أبن عاشر الذي كان عند أهل فاس بمتابعة الشافعي عند المصريين [3]

وكان أبو الحسن بنفسه يذهب إلى مدينة أسفي للقاء الشيخ المتصوف أبي عبد الله الهزميري [4] ويعرف بايزمير ، وكان من أولياء الله الصادقين علما وقدما ، وكان مستقر بمسجد أسفي [5] . ويحكي ابن مرزوق عن هذا اللقاء فيقول : " ولما وصل بموكبه إلى المسجد ، وكنت تقدمت بين يديه فيمن تقدم نزل بمقربة من المسجد ،

[1] محمد ابن مرزوق التلمساني ، المصدر السابق ، ص ص 156-157 .
[2] محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 355 .
[3] نفس المرجع ، ص 355 .
[4] نفسه ، ص 356 .
[5] محمد ابن مرزوق التلمساني ، المصدر السابق، ص 158 .

ثم دخل الصحن والشيخ على حاله مستند إلى القبلة ، وكان آية وصاحب كرامات ظاهرة وأحوال عجيبة ، أردت (ابن مرزوق) أن أشير إلى الشيخ بلقائه أنا وأبو الفضل بن أبي مدين فنهانا (أبو الحسن) عن ذلك ، وقصده فقبل يده وجلس بين يديه ، وقبل كذلك الشيخ كذلك يديه نفعه الله ، وقال(أبو الحسن) ، يا سيدي أوصني ، أفدني ، أدعوا لي ، فأوصاه وأفاده ودعى له ، فقال (أبو الحسن) يا سيدي هاك تقبل منا ما لم تلبسه بحسب البركة مما تتخيره ، فقال له : " يا أمير المسلمين هذه الجبة لها علي نحو من عشرين عاما ، وكأنها لم يتنصف فيها اللباس ، ومن البعيد أن يبقيني من العمر قدر ما مر عليها ، وأنا اليوم ناهز الثمانين"[1] ، كما دخل على أبي الحسن المريني بسبتة شيخ يعرف بالشيخ عثمان ابن أبي عفيف ، مرابط من تيكطين من أحواز مراكش ، وهم من أهل البيت والصلاح فلما دخل هذا الشيخ على أبي الحسن المريني تزحزح له وأزال المخدة من على يمينه ، وأجلسه إلى جانبه ، وكان ابن مرزوق لا يعرفه ، فقال للقاضي ابن أبي يحيى وهو إلى جانبه : " من هذا " فقال له : " من صلحاء البوادي ومرابطيهم " ، فلما خرج الشيخ من مجلس ابي الحسن المريني قال لهم : " سمعت ما قلتموه " ثم قال لابن مرزوق : " هذا الرجل تعلق بحناب الله فوجب كرامه " [2]

وبنا سلاطين بني مرين الزوايا التي كان لها دور في انتشار التصوف في عهد بني مرين ، حيث كان في عهد أبي الحسن المريني مثل تلك التي كانت توجد بسلا غربي الجامع الأعظم والتي كانت تنسب إلى ابي زكرياء يحيى بن عمر [3] ، وقد تبلورت الصوفية بفضل سخاء سلاطين بني مرين الذين شجعوا بناء المنشآت الدينية، فعندما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان 738هـ/1337م ، ضم إلى ضريح سيدي بومدين عدة مرافق منها مسجد كبير ومدرسة وحمامات عامة ومرافق أخرى ، ولقد أبدى أبو الحسن لهذا العمل تعظيمه للأولياء الصالحين ، ويرجع البعض إن قيامه بهذه الإضافات كانت بقصد استرضاء رعاياه الجدد بتمجيد ذكرى ولي مدينتهم ، حيث كانت حماية المتدينين وأولياء الله الصالحين من المتصوفة عنصرا من عناصر سياسة المرينيين منذ بداية حكمهم [4] . ومن

---

[1] نفسه ، ص 158 .
[2] نفسه ، ص 159 .
[3] نفس المصدر ، ص 413 .
[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 334.

السلاطين المرينيين الذين عظموا المتصوفة وأولياء الله الصالحين ، هو أبو عنان المريني الذي أمر ببناء المسجد لقطب من أقطاب التصوف وهو الحلوي [1]، وكانت عبارة عن زاوية تدعى بزاوية سيدي الحلوي وذلك عند احتلال المرينيين لتلمسان [2] ، حيث بنى السلطان أبو عنان المريني زوايا كثيرة وعديدة فاهتم بهذا المجال وما يشمله من تصوف [3] ، ولقد كان أبي عنان يهتم كثيرا برجال التصوف والصلاح ويبحث عنهم أينما كانوا فيحل بجانبهم ، ويستعطفهم ويكرمهم وينال من بركتهم ، ويتضح ذلك في موقفه من الإمام الصوفي الرباني أبي عبد الله الصفار الذي رغب منه أن يصاحبه في الرحلة ، فأبى ومع ذلك فقد قبل اعتذاره وأمر بتسريحه وعفا عنه [4] وأمر أبي عنان المريني كذلك ببناء الزاوية المتوكلية حيث أولى بها عناية خاصة وهذا ما يبين أن ابي عنان كان محبا للتصوف ويشجع رجالته [5] .

كما بنى أبي عنان الزاوية الكبرى وذلك بخارج باب فاس أحد أبواب أفراك حيث أعدها للغرباء وكذا لمن اضطر للمبيت بها من تجار وغيرهم [6] وكذا بنى هذا السلطان زاوية النساك بسلا [7] وعندما قام أبي عنان المريني بتدشين الزاوية المتوكلية بادر باستدعاء شيوخ الزوايا للحفل وأعطى أوامره السامية بتحرير طهائر التعيين والترقية لفائدة جماعة من المتصوفة كما يذكر ابن الحاج أن واليا من أعظم أولياء الله اتصل بمحدومة فلم يزل مولانا أيده الله معتقدا فيه وفي أمثاله ، معتملا في الاهتمام بأهل الله تعالى [8]

كما كان السلطان أبي عنان المريني محبا لزيارة الأضرحة الصلحاء والأولياء ، فهو لا ينقطع عن هذه الزيارة أينما وجد ، وهو الذي يبحث عن هذه الأضرحة ، بحيث كان يجد لذة ومتعة في الدخول إليها وكان يزور أبي عنان ضريح شيخ المشايخ سلطان العارفين أبي مدين شعيب الأندلسي فأطال به المقام وواصل

---

[1] محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 355 .
[2] عبد الله طويلب، المرجع السابق ، ص 58. وانظر : ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص 488.
[3] ابي عبد الله ابن خطيب التلمساني ، المصدر السابق ، ص 102.
[4] ابن الحاج النميري ، المرجع السابق ، ص 127.
[5] نفسه، ص 93
[6] محمد ابن القاسم الأنصاري السبتي ، اختصار الأخبار كما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق : عبد الوهاب ابن منصور ، ط2، الرباط، 1983م.
[7] عبد العزيز بن عبد الله ، المرجع السابق ، ص 22 .
[8] ابن الحاج النميري ، المصدر السابق، ص 127 .

الدعاء ، ثم سار إلى ضريح الشيخ الصالح أبي إسحاق الطيار فأقام هناك أيضا معتملا في الدعاء ، وببجاية انقطع عن الأشغال وانصرف قاصدا ضريح الشيخ الصالح الشهير الوالي سيدي أبي زكرياء الزواوي فوفاه حق زيارته [1] .

وإن من الملحوظ أن سلاطين بني مرين قاربوا المتصوفة إلى سلاطينهم وعينهم على مناصب عدة في الدولة ، حيث تركوا المتصوفة في العصر المريني بصماتهم على الكثير من جوانب الحياة سواء من الناحية السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية ، فكان من بين المتصوفة الذين تلوا منصب القضاء الحسن ابن عثمان التيجاني [2] ، وكذا منهم ابن قاسم الذي استقضاه أبو عنان على فاس وله قصيدة سماها " لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض " ، ومنهم كذلك محمد ابن علي الجزولي الأصولي الكبير كان قاضيا بفاس في عهد أبي سعيد المريني [3] ، وكذا كان ممن ولوا في مناصب داخل الدولة المرينية محمد ابن أحمد ابن بكر ابن يحيى المقري، الذي كان قاضيا للجماعة بفاس ، وألف في التصوف كتابه المعروف باسم " إقامة المريد ورحلة المتبتل " و كتاب " الحقائق والرقائق" وكذا كان من المتصوفة الذين ولوا للإمامة والخطابة في العاصمة فاس ، أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الرندي ، الذي كان إماما خطيبا بمسجد القرويين [4] ، وكان بعض المتصوفة يقوم بمعاونة السلطان في أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وذلك مثل محمد ابن موسى الحلفاوي الإشبيلي الذي استعان به السلطان أبو عنان المريني للضرب على أيدي المعتدين والعابثين [5] . كما كان من المتصوفة من كان لهم دور سياسي وذلك مثلما قام به المتصوف أبو يزيد الهزميري الذي قصد السلطان يوسف ابن يعقوب عن حصار تلمسان ، ولكن السلطان يوسف رفض المحاولة التي قام بها ذلك الشيخ الصوفي [6]

[1] نفس المصدر ، ص ص 127-128.
[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق ، ص 356.
[3] الحسن السائح ، الفكر المغربي في عصر بني مرين ، المرجع السابق ، ص 39
[4] محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 356 .
[5] الحسن السائح ، المرجع السابق، ص 39، وانظر : محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 356.
[6] محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 356 .

الخـــاتمة :

إن ظروف قيام دولة بني مرين ،كانت قد سبقتها عدة الأحداث منها اضطرابات السياسية و حتى العسكرية، وذلك عقب انهزام جيوش الموحدين أمام النصارى الإسبان في معركة حصن العقاب سنة 609 ه / 1212 م ، حيث قاموا بنو مرين بمحاولة إنشاء دولة لهم تكون وريثة للموحدين و كان لهم ذلك باستيلائهم علي مراكش و قضاء علي دولة الموحدين سنة 668 ه / 1269 م ، وكان من عوامل ظهور بني مرين العامل الاقتصادي وذلك بفرض الضرائب من قبل الموحدين وهذا ما أثقل كاهل الشعب المغربي حيث ساهم هذا العامل علي قيام دولة بني مرين ، وكذا من عوامل قيامهم عامل السياسي و هذا علي اثر الضعف الذي شهدته دولة الموحدين . و كان سبب دخول بني مرين المغرب الاقصي هو الوباء الذي حل ببلاد المغرب و لأندلس مثل وباء الطاعون و قحط الشديد الذي عرفته حيث وجد المرينيون بلاد المغرب قد خالت من أهلها ، ووجدا المرينين في المغرب الاقصى مراعي ووفرت الماء و كذا مزارع فسيحة .

إن محاولة معرفة أصل كلمة التصوف يصعب تحديدها وذلك باختلاف الباحثين و الصوفية ،فهناك من أرجعها إلي صفا النفس و هناك من ارجع أصل الكلمة لكثرة لبس أصحابها للصوف ، وكذا هناك من قال إن الصوفي الذي لا يملك شيئا ، و يرجع هذا الاختلاف إلي أن لم يقصد بتعرف التصوف تعريفا علميا بل قصدوا به التعبير علي أحوالهم الخاصة ، كما إن كلمة التصوف في حد ذاتها أصبحت تكتسب معاني جديدة و ذلك بمرور الزمن .

أما فيما يخص مفهوم التصوف فاغلب التعريفات تقول علي انه هو من العلوم الشريعة الإسلامية وهو العكوف علي العبادة و الانقطاع إلي الله عز وجل و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها و كذا الزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة و مال وانفراد عن الخلق في خلوة للعبادة. إن التصوف لم يكن معروفا في وقت الرسول صلي الله عليه و سلم . وفي القرن الأول لم يكن معروفا باسم التصوف بل كان معروفا باسم الزهاد و النساك حيث يعتبر الفقر و الزهد بمثابة بوابة و بدرة أولي للتصوف ، و اشتهرت كلمة التصوف في المائة الثانية للهجرة ، و في القرن الثالث و الرابع تعدي التصوف صورته الأولي المثمتلة في الزهد و مجاهدة النفس و وصل إلي درجة الفناء ن و في القرن الخامس و السادس و السابع هجري اتخذ

الصوفية شكل جماعات حيث ظهر ما يسمي بطرق الصوفية و لكل طريقة شيخ يحكمها و قسم علال الفاسي زمن التصوف و نشأته في المغرب إلي أربعة عصور فلعصر الأول يثمتل في عهد ابي مدين شعيب و الثاني من ابي مدين إلي عبد السلام بن مشيش و شادلي في القرن السابع هجري أما العصر الثالث من زمن الشاذلي إلي عهد الجزولي ، و العصر الرابع من عهد الجزولي إلي يومنا هذا . واشتهر في المغرب طريقتين أو مدرستين وهي المدرسة المشيشية التي أسسها عبد السلام بن مشيش وكذلك المدرسة الشاذلية التي يرجع تأسيسها لأبي حسن الشاذلي وكان لهاتين الطريقتين دور في نشر التصوف في لمغرب و التربية الروحية من خلال مبادئ كل طريقة .

لقد امتازت البيئة الثقافية عند المرينين بازدهار وذلك لاهتمامهم ببناء المدارس و المساجد وتشجيع السلاطين للعلماء و لإنفاق عليهم ، حيث عقدوا هؤلاء السلاطين مجالس للعلم كما ساعدت هجرة الاندلسين إلي المغرب في تطور الحياة الثقافية ، واعتني سلاطين بحواضر دولة مثل مدينة فاس التي قام آبي عنان المريني بتزويدها بأكبر مكتبة للمطالعة و عرفت مدينة سلا بمجموعة من العلماء الذين كان لهم دور في بعث الحركة العلمية في الدولة المرينية ونذكر من بين هؤلاء العلماء ابن عاشر .

اهتم بنو مرين بإنشاء المراكز و المؤسسات الدينية و الثقافية منها المساجد ومدارس ومن بينها جامع القرويين الذي زاد نشاطه في عصر المريني ، ومن جوامع الذي كانت في عصر بني مرين جامع الكبير بتازا الذي وسعه السلطان أبو عنان المريني وكذا جامع فاس الجديدة الذي أمر السلطان أبو يوسف يعقوب المريني ببنائه ، و جامع الحمراء الذي قام بتشييده السلطان أبو حسن المريني ، وجامع الزهر الذي شيده أبو عنان المريني كما اهتم سلاطين بني مرين ببناء المدارس و منها مدرسة الصفارين و مدرسة دار المخزن و مدرسة الصهريج و مدرسة سبعين و العطارين وكذا مدرسة الطالعة بسلا و مدرسة المصباحية و البوعنانية وكل هذه المدارس قد أسسها سلاطين بني مرين و ذلك لبعث الحياة الثقافية في دولتهم .

لقد عرف العصر المريني انتشار واسع للعلوم الدينية حيث اهتموا بتفسير الحديث و فقه وقامت دولة بني مرين علي المذهب المالكي ، حيث كثروا فقهاء في هذا

العصر و كان لهم كتابات عديدة واهتم بنو مرين بتفسير القران الكريم و ذلك باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي وشجع سلاطين بني مرين علوم التفسير فكان أبو عنان المريني حافظا للقران الكريم عرفا بناسخه و منسوخه.

واهتم بنو مرين كذلك بعلم القراءات الذي وظيفته معرفة طرق أداء القرآن فكانت القراءات المعتمدة في عصر بني مرين هي قراءة نافع بن أبي نعيم ، بحيث نبغ بنو مرين في هذا العلم و أتقنوه فهو من الميادين الذي سيطر عليه بنو مرين سيطرة تامة وكان من بين مشاهير هذا العلم أبو عبد الله الشريشي الحراز ، وازدهر علم الحديث في العصر المريني باعتباره المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ويرجع سبب ازدهار هذا العلم هو الرحلات من المفر بالي المشرق و التقاء بشخصيات و لأعلام محدثين المشارقة من مصر و الشام و الحرمين الشريفين و غيرها .

عرفت الحياة الدينية في الدولة المرينية مظاهر جديدة ، حيث كان سبب في ذلك الحركة الصوفية و الذي اتسع نطاقها وتكونت عدة اتجاهات صوفية من الطريقة الشاذلية و كذا الجزولية حيث كانت دولة بني مرين تسعي لتحقيق وحدتها السياسية و ذلك بتشجيع التصوف الذي لعب دور هام في حياة المجتمع المريني ، ولم يشعر سلاطين بني مرين من خطر المتصوفة لأن كان لهم دولة قوية .

قسمت الحياة الصوفية و المتصوفة في العهد المريني إلي قسمين فلنوع الأول تميز بتطرف في أفكارهم و طقوسهم فكانوا يميلون للبدع في أفعالهم حيث تكلم عنهم الونشريسي علي انهمك انو يتسمون بفقراء وكانوا يحثون بدع مثل الرقص و الغناء و كانوا أصحاب هذا النوع يعتبرون إن كل من يخرج علي طريقتهم يعتبر عدو لهم ، وكان بعضهم يدعي الكرمات مثل ما ادعي العباس بن صاح علي انه رسول فاطمي وذلك في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني وادي ذلك إلي قيام بثورة شعبية ضد السلطان. أما النوع الثاني من الصوفية التي عرفه العصر المريني هو اتجاه المعتدل حيث امتاز أصحابها باعتدال حيث كانوا يجتمعون علي التسبيحات و التهليلات حيث إن أصحاب هذه الطائفة زهدوا وتصوفوا بغرض الزهد ولم يؤسسوا طائفة معينة بزهد وأشهر هؤلاء المتصوفة المعتدلين كان ابن العاشر كما كان أصحاب هدا اتجاه يلعبون دور داخل الدولة المرينية مثل ما فعل أبو زيد الهزميري الذي توسط السلطان يوسف المريني لرفع الحصار علي تلمسان ن وكان اتجاه الصوفي في بداية الدولة المرينية يلتزم بالكتاب و السنة حيث اتبعوا

طريقة أبو مدين شعيب الذي تفرعت عليها عدة طرق كطريقة ابي محمد صالح بن ينصارن بن غفيبان الدكالي و طريقة ابي زكرياء الحاجي وكانت من الطرق المعتدلة في عهد بني مرين الطريقة الشاذلية وكذا الشعيبيون و الصنهاجيون و الحجاج و الغمانيون .

اهتم بنو مرين ببناء الزوايا التي تعتبر مركز للمتصوفة للقيام بأعمالهم حيث كان دور زوايا في بداية دولة بني مرين هو استقبال الغرباء و الوافدين من الخارج خاصة في عهد آبي يوسف المريني أما فيما بعد أصبحت مكان مفضل للمتصوفة وأصحاب الطرق الصوفية ، حيث شهد المغرب الأقصى في القرن الثامن للهجرة ثكاثر للزوايا حيث انتشرت هذه الزوايا في عهد بني مرين في كل جهة حيث كان دور الزوايا هو تهذيب الناس و حثهم علي المسك بلدين ، و شيد سلاطين بني مرين زوايا عديدة وكان منها زاوية سيدي حلوي الذي بناها ابي عنان المريني في المغرب الأوسط وكذا زاوية تافرطاست الذي بناها السلطان أبو يوسف يعقوب سنة 684ه/1285م كما شيد زواية ابي الحسن المريني وزاوية النساك بسلا و الزاوية المتوكلية التي بناها أبو عنان المريني ، كما بني في عهد بني مرين زاوية ابي زكرياء الحاجي .

اشتهر في دولة بني مرين الرحلات التصوفية وذلك لكثرت التصوف و الزهد حيث كان هذا الأثر لظهور هذه الرحلات كما شجع علي هذه الرحلات البيئة المغربية التي كانت تتميز بتربية إسلامية مثينة و كان سبب في ذهاب المتصوفة إلي هذه الرحلات هو التساؤلات التي كانت تطرح ككيفية وصول التصوف وهل يكتفي الصوفي باعتماد علي الكتب وحدها أو لابد أن يرتحل إلي شيخ يأخد عن طريقته فهذه التساؤلات هي التي دفعت إلي الرحلة من أجل الأخذ من شيخ و تعلم طريقته ن ومن ابرز الرحلات التصوفية التي اشتهرت في عهد بني مرين رحلة ابن بطوطة التي كان يرتحل إلي أولياء الله الصالحين كما كان يهتم بشيوخ الصوفية و الزهاد و أصحاب الكرمات حيث كان ابن بطوطة يزور الزوايا ، وكان كذلك من الرحلات التصوفية رحلة ابن قنفد القسنطيني حيث مؤلفاته تدلنا إلي انه قام برحلة حيث ذكر في كتابه انس الفقير و عز الحقير وصفه للمسالك و الطرق حيث وقف ابن قنفد علي الكثير من الأضرحة وكان كثير الزيارة للزوايا حيث زار كثير من الطوائف الصوفية في رحلته و التقي ابن قنفد بمجموعة من

المتصوفة في بلاد المغرب في العهد المريني ومن بين هؤلاء المتصوفة أبو العباس المراكشي المعروف بالشماع والتقي كذلك بأبو زيد اللجائي و ابن عباد الرندي وغيرهم .

اشتهر في عصر بني مرين مجموعة من المتصوفة الذين كانوا لهم دور الهام في انتشاره حيث كان من بين هؤلاء أبو الحسن الشاذلي و أبو عبد الله الجزولي الذي كان من أهل فاس و أبو العباس أحمد بن عاشر الذي كان نزيل سلا وكان من المتصوفة الذين عشوا في لدولة المرينية محمد بن عباد الرندي و كذا احمد زروق وأبو العباس أحمد بن المطارحي و أبو يعقوب الباديسي و محمد بن موسي الحلفاوي الاشبيلي و يحي ابن السراج و أحمد بن سعيد المشهور بالحباك و عبد الله بن عبد الحق السوسي أبو محمد .

لقد اعتني سلاطين بني مرين بالتصوف و المتصوفة حيث تميزوا هم نفسهم بنوع من التقوى و الورع مثل ما كان عليه الأمير عبد الحق كما كان الأمير يعقوب بن عبد الحق الذي يكني أبا يوسف يكرم الصلحاء و بني زاوية بتافرطاست و كان سلطان أبو الحسن المريني محب للصلحاء حيث كان يلتقي المتصوفة و يعظمهم حيث كان يزور قبر أبو مدين شعيب و ذهب أبو الحسن بنفسه إلي أسفي للقاء ابي عبد الله الهزميري . و كان السلطان أبو عنان المريني محبا لزيارة الأضرحة الصلحاء و لأولياء فكان لا ينقطع علي زيارتها و من مظاهر تشجيع السلاطين للمتصوفة هو تعينهم علي مناصب الدولة حيث كانوا اشتغلوا في منصب القضاء و الخطابة من مظاهر تشجيعهم للتصوف إنشائهم للزوايا.

- القران الكريم ، سورة البقرة ، أية 152.

- **المصادر**

أ- باللغة العربية :

1 – ابن أبي الزرع ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، رباط ، 1972 .

2 - ـــــــــــــــــــ ـــــــــــــــ ، لأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ،

صور للطباعة و الوراقة ، رباط ، 1972.

3 – ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، تحفة النضار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،

تحقيق : محمد عبد المنعم العريان ، ومراجعة مصطفي القصاص ، ج 1 ، ط 1 ، دار إحياء العلوم

، بيروت .

4 – ابن خلدون عبد الرحمان ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي

سلطان لأكبر ، ج 1 ، ج 7 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2000 .

5 - ـــ ، شفاء السائل وتهذيب المسائل ، تحقيق : د. محمد مطيع الحافظ ، دار الفكر ، دمشق ، 1996 .

6 – ابن الخطيب السلماني عبد الله ، رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة العمومية ، تونس .

7 – ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن العافية المكناسي الفاسي ، جذوة الاقتباس في ذكر من

حل من لأعلام في مدينة فاس ، ج 1 ، ج 2 ،جار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، المغرب ،

1973 .

8 - ـــ ، ذيل الوفيات
الأعيان المسمي درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق : د. محمد الأحمدي أبو نور ، ج 2 ، ط 1 ، 1971 ، مكتبة العتيقة و دار الثرات ، تونس ، القاهرة .

9 – ابن قنفد القسنطيني ، الوفيات ، تحقيق : عادل نوهيض ، ط 4 ، 1983 ، دار ا لأفاق الجديدة

، بيروت .

10 - ـــ ، أنس الفقير و عز الحقير ،
تحقيق : محمد الفاسي و أودلف فور ، منشورات

المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، 1965 .

11 – ابن مرزوق التلمساني ، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن ، تحقيق : ماريا خيسوس ،

تقديم : محمود بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 .

12 – بن الأحمر ابي الوليد بن إسماعيل ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، المطبعة المالكية ، الرباط ،

1962 .

13 – البادسي عبد الحق بن إسماعيل ، المقصد الشريف و المنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف،

تحقيق : سعيد اعراب ، ط 2 ، المطبعة المالكية ، الرباط ، 1993 م .

14 – بن سودة ألمري عبد السلام ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، ضبط و استدرك مكتب البحوث و

الدراسات ، ط 1، 1997 ،دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

15 – التنبكي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، إشراف وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة ،

ج 1 ،ج 2 ، ط 1 ، كلية دعوة الإسلامية ، طربلس .

16 – خليفة حاجي ، كشف الظنون في أسماء الكتب و الفنون ، مجلد 1 ، دار إحياء الثرات العربي ،

بيروت ، لبنان .

17 – الزركلي خير الدين ، الأعلام ، ج 1 ، ط 13 ، 1998 ، دار العلم للملايين ، بيروت ،

لبنان .

18- السملاني العباس بن ابراهيم ، الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام ، راجعه : عبد

الوهاب ابن منصور ، ج 5 ، ط 2 ، 1999 ، المطبعة المالكية ، الرباط .

19- السبتي محمد بن قاسم الأنصاري ، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ،

تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، ط 2 ، الرباط ، 1983 م .

20 – الصفدي صلاح الدين خليل بن ايبك ، نكت الهيمان في نكت العميان ، تحقيق : أحمد زكي ،

مطبعة الجمالية ، القاهرة ، مصر ، 1991 .

21 – الطوسي ابي نصر السراج ، اللمع ، تحقيق : د.عبد الحليم محمود و عبد الباقي سرور ، دار

الكتاب الحديثة ، مكتبة ، المثني ، مصر ، بغداد .

22 – الفهري أبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي ، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي محاسن ،

تحقيق : الشريف محمد بن حمزة بن علي الكتاني ، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجد .

23 – القشيري أبو القاسم ، الرسالة القشيرية ، تحقيق :عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف ،

مطابع مؤسسة دار الشعب ، القاهرة .

24 – الكلاباذي إسحاق ابو ابي بكر محمد ، التعريف لمذهب أهل التصوف ، ط 1 ،1993 ، دار

الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

25 – مؤلف مجهول ، الحلل موشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهل زكار و عبد القادر زمامة

، ط 1 ، دار الرشاد ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1979 م .

26 – مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، دراسة و تحقيق : عبد القادر بوباية ، ط 1 ،2005 ، دار

رقراق للطباعة و النشر ، الرباط .

27 – المقري التلمساني أحمد ،أزهار الرياض في أخبار عياض ، ظبط و تحقيق و تعليق : مصطفي

السقا و آخرون ، ج 2 ، مكتبة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، 1359ه/1940م .

28 - ـــــــــــــــــــــــ ، نفح الطيب من غصن لأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، مج 5

، دار صادر ، بيروت ، 1968 .

29 – الملزوزي ابي بارس عب العزيز ، نظم السلوك غي الأنباء و الخلفاء والملوك ، المطبع المالكية ، رباط ،

1382 ه / 1963 م .

30 – الناصري خالد ابو العباس أحمد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري

ومحمد الناصري ، ج 3 ، دار الكتاب ، دار البيضاء ، 1997 .

31 – النميري ابن الحاج ، فيض العباب و إفاضة قداح في حركة السعيدة إلي قسنطينة و زاب ، ط1 ،

دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 .

32 – الوزان حسن ، وصف افرقيا ، ترجمة عن الفرنسية : محمد حاجى و محمد الأخضر ، ج 1 ط 2 ،

دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983 م .

33 – الونشريسي ابي العباس أحمد بن يحي ، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية و

الأندلس والمغرب ، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حاجي ، ج 11 ، وزارة الأوقاف والشؤون

الدينية ، الرباط ، و دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

ب – باللغة الأجنبية :

1 – IBN ABI ZARAA ،ROUDH EL – KARTAS – histoire des souverains du Maghreb et annales de la ville de fez ، traduit de l’arbe A. beaumier ، l’imprimier imprimable ، paris، 1860 .

- المراجع

أ – باللغة العربية :

1 – ابن شقرون محمد ابن أحمد ، مضاهر الثقافة المغربية " دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني ،
دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1985 م .

2 – اعبيدو محمد ، الشيخ المولي عبد السلام بن مشيش ، ط 3 ، 2013 ، دار أبي رقراق ، رباط ،
، المغرب .

3 – أبو كف أحمد ، أعلام التصوف الإسلامي ، مؤسسة دار التعاون ،القاهرة ، مصر .

4 – أبو مصطفي كمال السيد ، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في
المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوي معيار المعرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ،

الإسكندرية ، مصر 1996 م .
5 – بناني أحمد بن محمد ، موقف الإمام ابن تيمية من التصوف و الصوفية ، ط 3 ، دار الطيبة
الخضراء، مكة المكرمة .
6 – البيلي محمد بركات ، الزهاد و المتصوفة في بلاد المغرب و الأندلس حتي القرن الخامس هجري ،
دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر، 1993 .
7 – التليدي الشيخ عبد الله بن عبد القادر ، المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، ط 4 ، 2003 ، دار
الأمان للنشر و التوزيع و دار البشائر الإسلامية ، رباط ، بيروت .
8 – جاد الله منا عبد المنعم ، التصوف في مصر و المغرب ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ، مصر .
9 – حربي محمد ، ابن تيمية و موقفه من أهل الفرق و الديانات في عصره ،ط 1 ، 1987 ، عالم
كتب ، بيروت ، لبنان .
10 – الحسني عبد المنعم القاسمي ، أعلام التصوف في الجزائر ، ط 1 ، 2007 ، دار الخليل القاسمي ، مسيلة ، الجزائر .
11 – حسين محمد عبد المنعم محمد ، مدينة سلا في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب جامعة ،
الإسكندرية ،1993 .
12 – حركات ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينين إلي نهاية السعديين ، مج 2 ، ط 1 ،
دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء .
13 – الحريري محمد عيسي ، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني ، ط 2 ، دار القلم
للنشر و التوزيع ، 1987.
14 – حلمي محمد مصطفي ، الحياة الروحية في الإسلام ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان .
15 – الدباغ محمد بن عبد العزيز ، من أعلام الفكر و الأدب في العصر المريني ، ط 1 ، 1992 ،
مكتبة الأمة ، الرباط .

16 – السائح حسن ، حضارة الإسلامية في المغرب ، ط 2 ، 1986 ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ،
الدار البيضاء .
17 – السوسي عبد الله ، تاريخ رباط الفتح ، مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ،
الرباط ، 1979 .
18 – الشاهدي الحسن ، أدب الرحلة غي المغرب في العصر المريني ، ج 1 ، ج 2 ، منشورات عكاظ ،الرباط ، المغرب .
19 – شيمل أنا ماري ، الأبعاد الصوفية في الإسلام و تاريخ التصوف ، ترجمة محمد إسماعيل السيد و
رضا حامد قطب ، ط 1 ،منشورات الجمل ، كولونيا ، ألمانيا .
20 – ضريف محمد ، مؤسسة الزوايا بالمغرب ، ط 1 ، 1992 ،منشورات مجلة المغربية لعلم الاجتماع
السياسي ، توزيع مكتبة الأمة ، الدار البيضاء ، المغرب .
21 – ظهير إحسان الهي ، التصوف المنشأ و المصادر ، ط 1 ، 1986 ، إدارة ترجمان السنية .
22 – عيسي الشيخ عبد القادر ، حقائق عن التصوف ، ط 5 ، موقع الطريقة الشادلية الدرقاوية ،
www.shazly . com .
23 – غرميني عبد السلام ، المدارس الصوفية المغربية و الأندلسية في القرن السادس هجري ، ط 1
2000 ، دار الرشاد الحديثة ، دار البيضاء ، المغرب .
24 – غريب مأمون ، ابو الحسن الشاذلي حياته تصوفه تلاميذه و أولاده ، دار غريب ، 2000 .
25– فياض سليمان ، ابن بطوطة رحالة الإسلام ، ط 2 ، 1991 ، مركز الأهرام للترجمة و النشر ،
القاهرة .
26 – قاسم عبد الحكيم عبد الغني ، المذاهب الصوفية و مدارسها ، ط 2 ، 1999 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر .
27 – كنون عبد الله ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ج 1 ، ط 2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،

لبنان .
28 – لعرج عبد العزيز محمد ، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، ط 1 ، زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر
،2005م .
29 – لوتورنو روجيه ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة : نقولا زياده ، مؤسسة فلرنكلين للطباعة و النشر ، بيروت ، 1967 م .
30 - ـــــــــــــــ ـــــــــــــــ ، فاس قبل الحماية ، ترجمة إلي العربية : محمد حجي و محمد لأخضر ، ج 1 ، دار
الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
31 – مؤنس حسين، ابن بطوطة و رحلاته ، دار المعارف ، القاهرة ، 1980 .
32 – مارسيه جورج ، بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطي ، ترجمة عن
الفرنسية : محمود عبد الصمد هيكل ، راجعه و استخرج النصوص د. مصطفي أبو ضيف أحمد ،توزيع
منشأة المعارف ، الإسكندرية .
33 – منوني محمد ، ورقات عن حضارة المرنين ،ط3 ،كلية الأداب ، جامعة محمد خامس ، الرباط ،
2000م .
34 – نشاط مصطفي ، محطات في تاريخ المغرب الفكري و الديني ، تنسيق و تقديم محمد العيادي ، مطبعة فضالة ، محمدية ، المغرب .

ب – باللغة الأجنبية :

1 - GLUDIO ATLILIO , les jouaux de la civilisation islamique , Nouvelle Edition latines, 1982 .

2 - Fès dans les écrits marocains et internationaux ، Fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud pour les Etudes Islamiques et les Sciences Humaines ، Casablanca, 2008.

- الرسائل و الأطروحات الجامعية :

1 – جدو فاطمة الزهراء ، السلطة و المتصوفة في الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، رسالة ماجستير

،جامعة قسنطينة ، 2008 .

2 – حسن عامر أحمد عبد الله ، دولة بني المرين : تاريخها و سياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية و

المماليك النصرانية في اسبانيا " 668-869ه/ 1269-1465" ، رسالة ماجستير ،نابلس ، فلسطين

2003م .

3 – خالدي رشيد ، دور المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الاقصي خلال القرنين 7و8

ه/و13و14 م ، رسالة ماجستير جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2010-2011 م .

4 – زكري لامعة ،الرحلة العلمية بين الأندلس و الدولة المرينية ودورها في تمثين الصلات الثقافية خلال

القرنين 7/8ه – 13/15 م ، رسالة ماجستير ، جامعة ابي بكر بلقايد ،تلمسان ، 2009 –

2010 م .

5 – طويلب عبد الله ، الروابط الثقافية بين الدولة المرينية و دولة بني نصر في الأندلس "ق 7-10ه/13

16 م ، رسالة ماجستير ، جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2009-2010 م .

6 – عبيد فاطيمة ، مراكز التعليم في الدولة المرينية ، رسالة الماستر ، جامعة د. طاهر مولاي ، سعيدة ،

2013-2014 .

7 – نضال مؤيد ، الدولة المرينية علي عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني "680-806ه / 1286 1306 م، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، 2004 .

- المجلات و الدوريات :

1 – بن الصديق محمد علي ، التصوف المغربي و تاريخه ، مجلة دعوة الحق ، عدد 285 ، السنة 32 ،

وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، رباط ، المغرب .

2 – بن عبد الله عبد العزيز ، الزاوية المغربية كمنتدى للفكر ، مجلة دعوة الحق ، العدد 245 ، وزارة عموم

الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، رباط ، المغرب .

3 – تومي عبد القادر ،التصوف و المجتمع قرأة في الأبعاد الاجتماعية للتصوف ، مجلة الخطاب الصوفي ،

عدد 3 ، جامعة الجزائر ، 2010 .

4 – حركات ابراهيم ، الحياة الدينية في عهد بني مرين ، مجلة دعوة الحق ، عدد 2 ،سنة 7 ، وزارة عموم

الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، رباط ، المغرب ، 1963 م .

5 – السائح حسن ، الفكر المغربي في عصر بني مرين ، مجلة دعوة الحق ، عدد 8 و9 ، سنة 6 ، وزارة

عموم الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، رباط ، المغرب .

6 – العافية عبد القادر ، يوميات الطالب بالقرويين ، مجلة دعوة الحق ، عدد272 ، وزارة شؤون الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، رباط ، مغرب ، 1988 .

7 – علاوي العيد ، التصوف من إشكالية الفهم إلي تيه الممارسة ، عدد 8 ، مجلة المخبر ، جامعة محمد

خيضر ، بسكرة ، 2012 .

8 – لاندو روم ،جامعة القرويين بفاس ، تعريب :محمد الخطيب ، مجلة دعوة الحق ، عدد 1 ، السنة الثانية

وزارة عموم الأوقاف و الشؤون الإسلامية ،الرباط ، المغرب ، 1958 .

9 – المنوني محمد ،كراسي الأساتذة بجامعة القرويين ، مجلة دعوة الحق ، عدد 4 ، سنة التاسعة ، وزارة

عموم الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، رباط ، المغرب ، 1966 .

- الموسوعات :

1 – الحنفي عبد المنعم ، الموسوعة الصوفية ، ط 1 ، 1992 ، دار الرشاد ، القاهرة ، مصر .

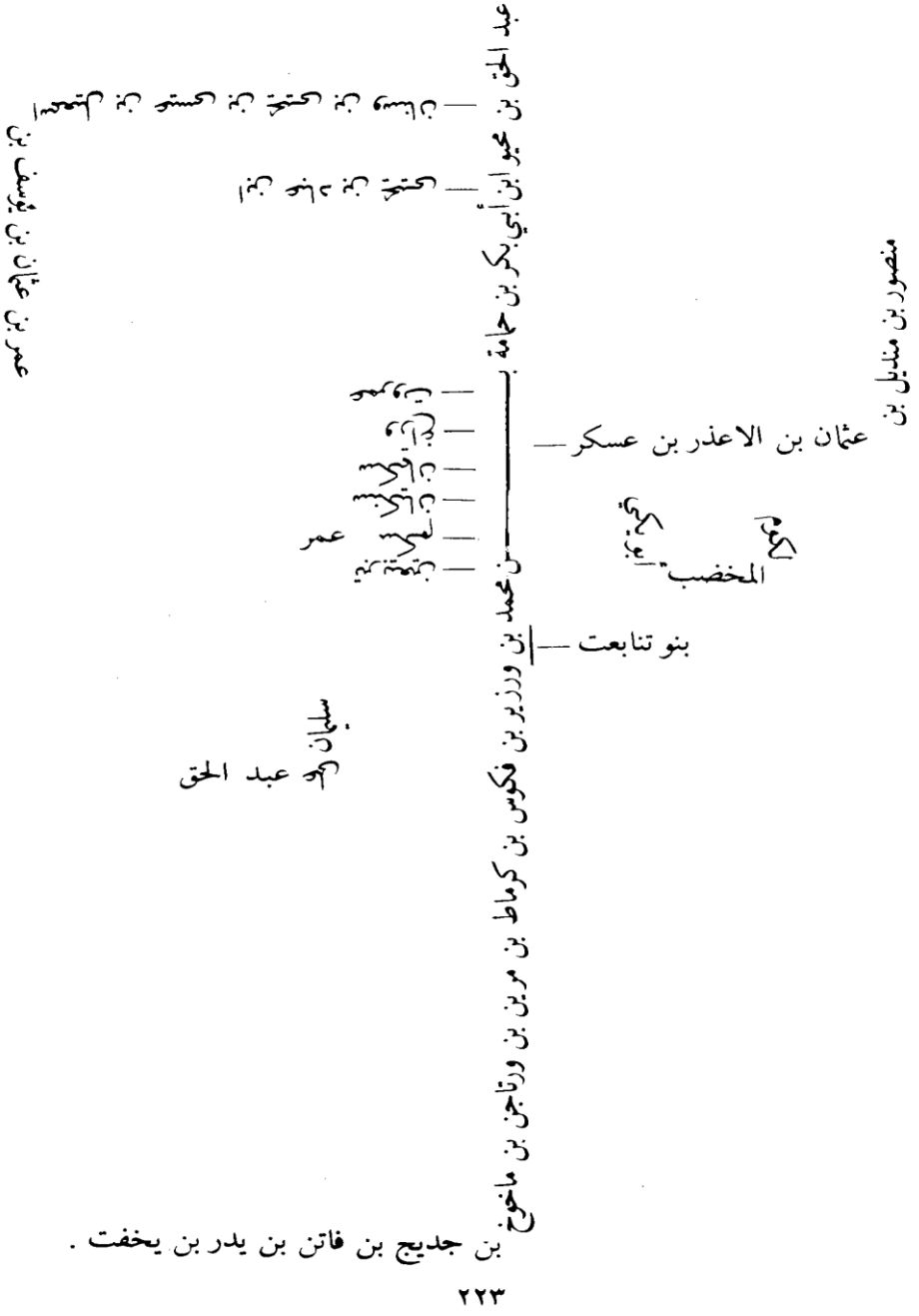

٢٢٣

الملحق 01: أصل بني مرين

عبد الرحمان ابن خلدون ، مصدر السابق ، صفحة 223 .

الملحق رقم : 3 . تظهر هذه الصورة بقايا الثريات مسجد الأكبر التي تعود إلي عهد المريني

احمد توفيق، معرض صور مساجد المغربية عبر التاريخ ، مؤسسة مسجد حسن الثاني ، دار البيضاء، مغرب ، 2010 ، ص 52 .

.

ɔnd Pauty
923)
pl. : ill.

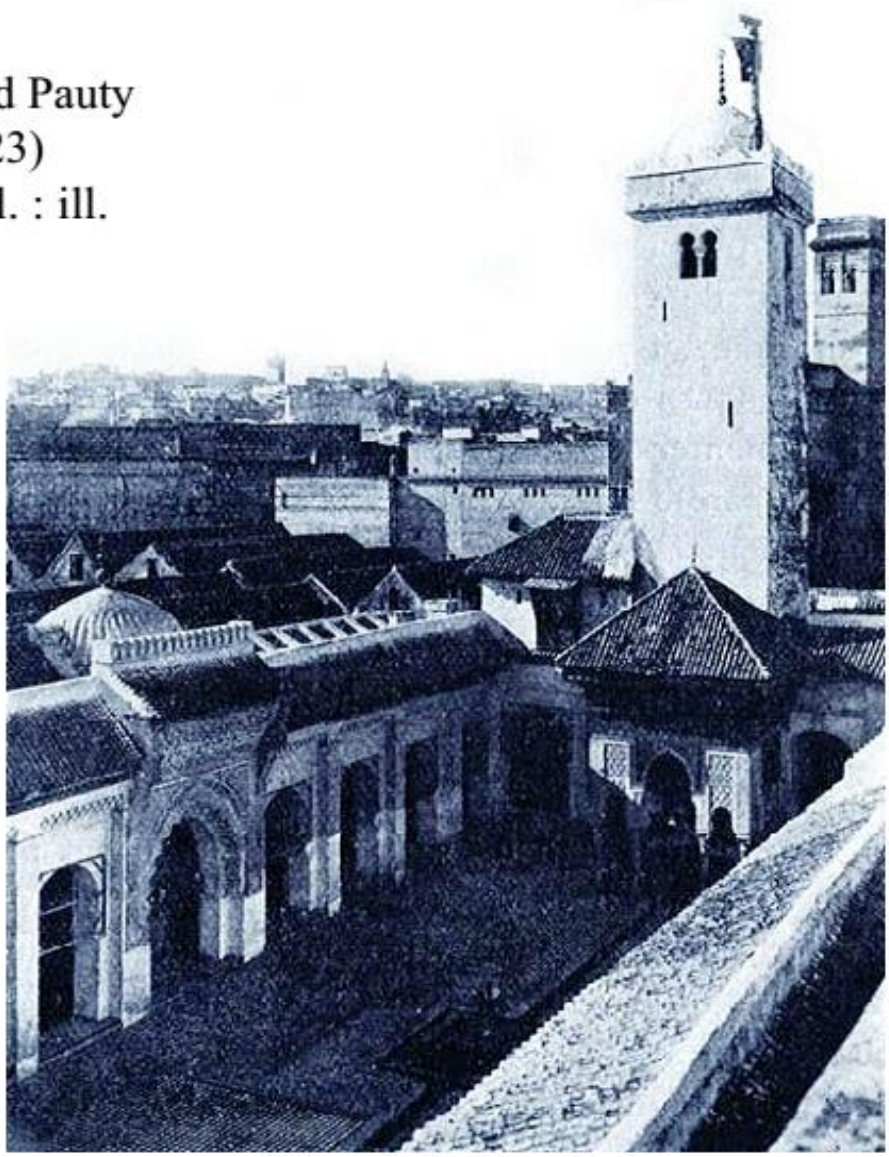

Mosquée Al Qaraouiyyine

الملحق رقم 2 **:** جامع القرويين

Fès dans les écrits marocains et internationaux ، Fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud pour les Etudes Islamiques et les Sciences Humaines ، Casablanca, 2008 ، page35.